

الاستاذ جبر ضومط

انظر صفحة ٥٠٤

مقطف مايو ١٩٢٨

المعاني
ففي الله
كلمة
ما لم تنه
العربية
منزلتها
الانكليزية
ذلك فـ
فيهم الا
على ابن
انما هي
وافعالهم
والفاروس
وليس
اللغات ا

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني والسبعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١١ ذي القعدة سنة ١٣٤٦

كَلِمَاتُ اللُّغَةِ كَوْنُ صُرُوفٍ

مباهة اللغات ومميزاتها

ان مميزات اللغات ليست قائمة بما فيها من الاسماء والافعال بل بما فيها من حروف المعاني واساليب التصريف والاشتقاق وتركيب الجمل . اي بصرفها ونحوها وبيانها . ففي اللغة التركية الوف من الكلمات العربية وقد تقرأ سطرين فيها مؤلفين من عشرين كلمة فتجد فيها عشر كلمات عربية ومع ذلك يبقى الكلام امامك تركيباً مغلقاً لا تفهمه ما لم تعلم اللغة التركية لان تصاريفها وتراكيبها وحروف المعاني فيها غير ما هي في العربية . وكل ما دخل التركية من لغة العرب لم يصرفها عن كونها تركية ولا حط من منزلتها بل زادها غنى وزاد اهلها مقدرة على التعبير عن المعاني . ومثل ذلك اللغتان الانكليزية والفرنسوية فان فيهما عشرات الالوف من الكلمات التي تشتركان فيها ومع ذلك فكل لغة منهما مستقلة عن الاخرى تمام الاستقلال ولا يستطيع الفرنسي ان يفهم الانكليزية ما لم يتعلمها ولا الانكليزي الفرنسي ما لم يتعلمها . وتعلم اللغة الواحدة على ابناء اللغة الاخرى ليس اسهل من تعلمها على ابناء العربية لان مميزات كل لغة منهما انما هي في المختلف من حروفها وتصاريفها وتراكيبها لا في المتماثل من اسمائها وافعالها . ولقد دخل العربية قبل جمع معجماتها كثير من الكلمات اليونانية والقبطية والفارسية والسريانية فلم يفض ذلك من كرامتها واستمر الدخيل يضاف اليها حتى الان ويستحيل ان ينقطع ما دامت اللغة حية والمتكلمون بها يخاطون غيرهم من اهل اللغات الاخرى

الصحافة العلمية والنهضة الشرقية

رسالة المقتطف (١)

حضرة صاحب المعالي : سيداتي وسادتي :

مهما اختلفت آراء الكتاب والمفكرين ، وتشعبت مذاهبهم في النظر الى ماهية التاريخ ، وتحديد العوامل التي تدفع بالحضارة الى الامام ، ووصف مظاهر العمران ووجوه ارتقائه . فلا ريب في ان الكل مجمعون على ان التاريخ في صميمه انما هو حديث ارتقاء الفكر البشري وانطلاقه من قيوده وابداعه في ما تيمه فبالفكر تغلب الانسان على طوائف الاحياء التي كانت تنازعه البقاء في ميدان الوجود . وبالفكر تحرر من قيود الاوهام التي كانت تقعد به عن النهوض والجري في مضمار الرقي . وبالفكر سيطر على عناصر الطبيعة ونفذ الى مكان من اسرار الحياة : تطلع الى الكواكب ففاس أبعادها واجرامها وحال عناصرها وعيّن نسبها ومقاديرها . والى الجرائم فدرس طبائعها ووسائل استخدامها واتقائها . والى العقل فكشف عن اصول الفكر والحفظ والغريزة والعاطفة والعادة . والى الاحياء فقرر نواميس نشوئها وارتقائها . وبالفكر ايضاً تحكم في قوى الطبيعة وأخضعها لمطالبه . فطوّق الارض بامواج الاثير . وجاب البحار على مدرن طافية . وحاقق في الجو بجناح وبغير جناح . وتصدى لحالك الظلام فبدد غياهبه بانوار تلبس الليل جلباب النهار . ووصل بين ضفاف الانهر بكبار هي في الحقيقة أشعار رائعة قوامها الخيال والذكاء والجمال والحديد .

والصحافة أيها السادة ، الصحافة الراقية التي تنظم في سلك نشراتها اليومية ابناء العمران من اربعة اقطار المعمور . فتجميع بين التدوين والتزيه والنقد المنصف . وتعتمد في كل ما تذيعه على الرأي الخالص الناجم عن الروية والعلم . والعاطفة الشريفة يلفظها ويضبطها العقل الراجح والحكم المعتدل . والبداهة المصقولة بالاختبار . والاستقلال القائم

(١) الخطبة التي القاها محرر هذه المجلة في حفلة تأبين المرحوم الدكتور صروف التي اقيمت في دار الاوبرا الملكية في ٣ مارس الماضي . راجع وصف الحفلة وما تلي فيها من الخطب والقصائد في هذا الجزء صفحة ٥٥٣ وما بعدها

على السعي في سبيل النفع العام—هذه الصحافة ايها السادة قوة من قوى العمران الحديث خلع عليها احد الكتاب الفرنسيين ثوب الملك ولقبها بصاحبة الجلالة وهي جديرة بذلك

✓ وحين انتقل من التعميم الى التعيين أخص بالذكر الصحافة العلمية التي يقيم اصحابها في جوهاً بعيداً عن منازعات السياسة ومشاغبات الحياة وقد آلوا على انفسهم البحث عن الحقيقة ونشرها بين الناس فاقول انها مظهر من امجد المظاهر للارتقاء الفكري الذي ذكرت وركن من اركان التي تقوم عايتها الحضارة في القرن العشرين

ففي ساحتها تلتقي اقلام الكتاب والمفكرين بافهام القراء وهذا الالتقاء يولد احتكاكاً والاحتكاك يبعث في العقول نوراً وفي النفوس ناراً. فهي تأخذ باليمين لتعطي باليسار. تأخذ من المبدع والعالم والمستنبط والكااتب والاستاذ. لتعطي الزارع والتاجر والصانع والمدرس والطالب. هي صلة الاتصال بين عالم الابداع الفكري وعالم التطبيق العملي. هي مرتبة متوسطة بين مباحث العلماء الفنية ومدارك الجمهور الذي يطلب الحقائق جلية واضحة، تقبلها العقول وتسيغها الافهام. والعلم لا يرتقي ايها السادة. ولا ينال قسطه من الشيوخ والتأييد. ولا تُجنى الفوائد التي يجب ان يجنى منه. الا اذا اتصلت نتائج المباحث العلمية بمقتضيات العمران وتغلغت في كل مصدر من مصادر الحياة الفردية والاجتماعية

لذلك كان بسط الحقائق العلمية ونشرها لازمين ككشفها وتحقيقها. وهذا البسط والنشر جانب من المهمة العظيمة التي تضطلع باعبائها الصحافة العلمية من نوع المقتطف

وإني واثق كل الثقة بانه متى آن الاوان لكتابة تاريخ للنهضة الشرقية الحديثة على قاعدتين من الانصاف والتحقيق لا يسع المؤرخ ان يغفل نصيب الصحافة العلمية في اذكاء نورها ونارها. فالجهل ظلام والظلام عبودية. والعلم نور والنور حرية. والحرية تطلق امام العقل مجال الابداع وامام المهمة ميدان العمل. والعقل المبدع تدعمه المهمة العالية أساس لكل عمل موفق ونهضة حية وعمران صحيح

نظرة أيها السادة الى تاريخ نشأة المقتطف. ولنطوِ بالخيال والفكر اثنتين وخمسين سنة

من تاريخ الشرق زود امصاره ونزوا الى احواله وتتبع مظاهر تامله ويقظته حتى نستقر على راية في رأس بيروت نزل فيها جماعة من عمال الخير فأنشأوا معهداً للعلوم الحديثة قال رئيسهم في غايته : في ساحة هذا المعهد تلتقي العقول التي تروم الكشف عن اسرار الوجود . والنفوس التي تتطلع الى ادراك كنهه الحياة ومبدع الحياة . ندبرها على البحث العلمي القائم على الدقة والانصاف ونولجها هيكل الحقيقة في موكب من عرائس الافكار . لا نعرف للمذهب الديني سبيلاً يفسد علينا غايتنا . ولكننا نجعل لاصول الدين القويم المكان الاعلى في كل اعمالنا لاننا نريد ان نخرج للحياة رجالاً تشد العقيدة الراسخة فيهم العقل المثقف والرأي الحصيف

في هذا المعهد العلمي المنير نشأ المقتطف وترعرع وعلى اقطابه الاعلام تلقى منشأه قواعد العلوم الحديثة وأسايب التفكير الحر وفي دوره ومعامله وأنديته طبعت نفسها بأن العمران بناء فسيح الرحاب يقوم على دعائم كثيرة اقواها وألزمها دعائم العلم الصحيح والتهديب الديني القويم هناك تساهم قسماً من النور نشره في ارجاء الشرق ولكن مصرأ كانت منذ أقدم عصور التاريخ ولا تزال منأى للكريم عن الاذى ، فضنت المقتطف ورحبت به وعظفت عليه ، لمسا كان سيف الاستبداد مصلتاً فوق رقاب الاحرار من ابناء سورية ولبنان ، فنزل المقتطف الديار المصرية على الرحب والسعة ، واتصلت اصوله بترتها الغنية تستمد منها القوة والغذاء . وامتدت فروعه في جوها تتسامق الى افسح الاجواء . تأخذ من الحياة المصرية وتعطيها حتى غدا بتمضيدها حكماؤها وعلمائها وأعلامها منارة تبسط من عاصمتها أنوار العلم على بلدان الشرق

خمسون سنة من التاريخ ! والحضارة سائرة سيراً حثيثاً الى الامام . ففي الآراء والافكار تنبه وتعديل . وفي الآداب والاخلاق والمعتقدات ثورة وانقلاب . وفي امور المعيشة تقدم وتغيير لا يضاهيهما تقدم ولا تغير في كل ما سبق من عصور التاريخ . وفي كل فروع العلوم وأبواب البحث اكباب على كشف المجهول واستقصاء الاسباب الاولى . والعلماء من كل قطر منبثون في كل ناحية يبحثون ويمتحنون ويكتشفون ويستنبطون لا يعرفون الى الهزيمة سبيلاً ، ولا يقعد بهم عن تحقيق اغراضهم مشقة او

مرض او موت . وموكب العلم سائر الى الامام وفي كثير من الاحيان على
اشلاء مبدعيه

هذا من جهة . ومن جهة اخرى نرى الطبيعة هي هي ، اليها تحدى الركائب . وعلى
النفوذ الى مكامن اسرارها تعلق أبعد الغايات . كواكب وسيارات واقمار ومذنبات تسير
في الفضاء . وصخور تندرج على سطح الغبراء تاركة آثارها في صخورها وجبالها :
وانهار تحتفر مجاريها في التراب . وحيوانات تبقى هياكلها في طبقات الترى . ونباتات
تكتب قبرياتها في اطباق الفحم . ورجال يقبلون الفامر عامراً والعامر جنة تجري من
نحها الانهار . فالهواء يدوي بالاصوات . والجو حافل بالاشارات . والارض كلها
رقعة دون فيها تاريخ الاحياء وغير الاحياء . والرقعة في ظرف مختوم لا بد من فض
اختامه واعلان محتوياته واسراره

فن اكثر العلوم النظرية دقة ونموضاً الى اكثرها انطباقاً على الاعمال وابعدها
أزراً في معاش الناس . ومن أدق المعادلات الرياضية العالية الى اعوص الآراء الجديدة
في شكل الكون وبناء المادة . الى أحدث المستنبطات والمكتشفات في الزراعة والصناعة
والمواصلات والمحاطبات وأسباب المرض ووسائل العلاج — كل ذلك اصاب من التقدم
في نصف القرن الماضي ما يجعله من اعظم العصور مقاماً في التاريخ

وقد كان المقتطف في كل ذلك رسولا أميناً بين حضارة الشرق وحضارة الغرب .
في ميدانه الرحب التقت اقلام العلماء والمفكرين من ابناء الحضارتين . آناً تتفق آراؤهم
وآناً تختلف . ومنشئ المقتطف واقف للعلم بالمرصاد ، يقتطف منه كل طارف وكل
نليد ، حتى غدت مجلته مدرسة سيارة ، ومنارة جواله ، ورابطة تضم ابناء الشرق في
وحدة معنوية متينة في زمن عزت فيه اسباب التضامن وفشت عوامل
التفرقة والانقسام

واذا سمحتم لي ايها السادة ان اتجرد هنيهة من علاقتي الشخصية بالمقتطف واصحابه
لجردت من مجلداته السبعين ، شخصاً معنوياً اضعه في مرتبة فرنسيس باكون الفيلسوف
الذي نفخ الحياة في الجمعية الملكية الانكليزية وجماعة الانسكلوبيديين الفرنسيين وعلم
ان المعرفة تطلب للقوة والسيطرة لا للتأمل والتخيل والتكهن بالغيب . وقضى على منطق
ارسطو طاليسي . واقام التجربة والامتحان اساساً للعلم ، فكان بذلك رائداً مقدماً شق

الطريق امام العلم الحديث الذي تغلغل آثاره في كل مقومات العمران

فالمقتطف مجلة علمية صناعية زراعية ، كانت ولا تزال . لان منشئيه رأيا بتلك البصيرة النافذة التي تحترق القشور وتعداها الى الباب ، ان الشرقيين لا يستطيعون ان يباروا الغربيين في ميدان العمران الا اذا اخذوا اخذهم في درس العلوم الطبيعية وجعلها وسيلة لا تقان الزراعة والصناعة . ودرس العلوم الفلسفية وجعلها قاعدة للاداب والاخلاق والمعاملات . وعرفا ايضاً ان الاقتصاد على تدريس قواعد هذه العلوم في المدارس لا يفي بالحاجة لان تيار العلم لا يعرف السكون . وجياد المستنبطات أبداً في سباق . والسابق السابق منها الجواد

واية طائفة من علوم الغربيين عاجلها المقتطف ؟

كل العلوم على الاطلاق . ولكنه قدّم منها العلوم التي يربون بها اطفالهم حتى لا يموت منهم نصف ما يموت من اطفالنا . ويحفظون بها صحتهم حتى لا يبلغ متوسط وفياتهم نصف متوسط وفياتنا . ويصنعون بها آلاتهم وادواتهم حتى يمخروا البحار بمراكب كالرواسخ ويحترقوا القفار بمركبات من النار . العلوم التي يقطعون بها الشجر ويسحقونه ويصنعون منه الورق ويطبعونه في يوم واحد . ويندفون القطن ويغزلونه وينسجونه بالبخار والكهربائية . ويكثرّون بها جني الارض واصلاح انواع المواشي وخلق انواع جديدة منها . ويطوقون بها الارض بامواج لطيفة ينقلون على اجنحتها السحرية الصور والاصوات

فالوتر الاول الذي ضرب عليه المقتطف اما هو وتر العمل وتطبيق العلم على مقتضيات العمران

ولكنه عني ايضاً بنشر العلوم الفلكية والرياضية المجردة والمباحث الاثرية والتاريخية وسيّر الرجال والنساء الذين كانت سيرهم واعمالهم ثروة عامة . لان نشرها يفتح امام العقل ابواباً مغلقة من حكمة الله وغرائب الطبيعة واسرار الحياة فتشعذ القرائح وتنضي الهمم وتحرك كامنات النفوس . ثم لا تلبث ان تجري في عروق الادب والفن دماً حاراً فتنبث تستفزّه الحياة وتستثيره بآمالها وآلامها

يضاف الى ذلك ان لنشر هذه العلوم والمباحث فوائد عقلية غير الفوائد العملية والادبية التي ذكرت . ذلك انها تعود القراء العناية بطلب الحق . وتعلمهم ان يكونوا على

انما الانتباه لان الطبيعة تتأجينا دائماً لتكاشفنا بأسرارها. ثم تدرهم على ان يكونوا ذوي اقدام وصبر على المكافاة لان مسالك العلوم لا تخلو من العقبات والرجل الرجل من يصبر حتى ينتزع الفوز من انياب الفشل

هذه هي العلوم التي عني بها المقتطف . وحث على الاخذ بها والتوفر عليها وقضى حتى الآن اثنتين وخمسين سنة يقتطف ثمارها من حداثق الغرب ويزفها شهراً شهراً الى ابناء الشرق على ما يقتضي ذلك من « الجهد العظيم في وضع المصطلحات العلمية العربية والشجاعة الادبية في نشر الآراء الجديدة والمذاهب المستحدثة والاحاطة بفروع المعارف على تعددها وتشعب مسالك البحث فيها »

هذه هي مهمته كما افهمها . هذه هي رسالته الى المدنية العربية كما كانت وكما آتت ان تظل . واني لاغتم هذه الفرصة التي تملأ جوانحي حزناً وأسى فاقطع على المقتطف والقائمين بانثائه واصداره عهداً بان يحملوا هذه الغايات العظيمة دستوراً لهم ومناراً

أيها السادة : يقولون ان هذه الحضارة القائمة على اركان من العلم الطبيعي والفلسفة المادية تجمل في طياتها بذور فسادها واضمحلالها أفلا نستطيع نحن ان نمزج علم الغرب بشطر من فلسفة الشرق وان نخفف مادية الغرب بشيء من روحانية الشرق فنخرج للعالم وللاحياء حضارة جديدة فلا تكون حضارة مصرية فحسب . ولا حضارة عربية فحسب . بل حضارة عالمية تجمل مصر كعبة لفلاسفة العمران كما هي كعبة لعلماء الآثار واثرياء السياح

انا اعلم ان الطريق اماننا وعر وشاق

وان المعترك للفوز والسيطرة محتدم الونى حامي الوطيس

وان سبيل العمران مرصوف برفات الامم

ولكن مجيدة هي الامة التي يسقط أبنائها في هذا الميدان يصعدون انفسهم

الاخيرة وهم يسامون المصباح لمن يليهم من المجاهدين

تلك هي الامم التي تكتب اسمائها واسماء ابنائها باحرف من نور في صفحات الخلود



عجيبة المستنبطات الحديثة

التلفزة او الرؤية عن بعد — الرؤية عن بعد في الظلام — اختلافهما عن نقل
الصور سلكياً ولا سلكياً — اختلافهما عن الصور المتحركة الناطقة
تاريخ الاستنباط واهم قواعده

تقدمت المباحث اللاسلكية تقدماً سريعاً بعد الحرب فصرنا لا ندري اية عجيبة من
العجائب لا يستطيع تحقيقها . فالتخاطب بالتلغراف اللاسلكي تلاه التخاطب بالتلفون
اللاسلكي وتلا هذا شيوع نقل الصور الفوتغرافية سلكياً ولا سلكياً فطوقت الارض
بالامواج اللاسلكية اللطيفة تحمل على اجنحتها السحرية الصور والالفاظ . والتلفزة او
الرؤية عن بُعد احدث المستنبطات اللاسلكية واغربها فرأينا ان نجتمع في مقالة واحدة
اهم ما يعرف عن هذا الاستنباط العجيب وقد اشرنا الى اكثر حقائقه في اجزاء
المقتطف الماضية

١ — الصور المتحركة الناطقة

لما زرنا الولايات المتحدة الاميركية منذ اربع سنوات اسعدنا الحظ بمشاهدة الصور
المتحركة الناطقة « الفونوفلم » ذلك ان شاهدنا على ستار الصور المتحركة صور ثلاثة
من المرشحين حينذاك لرئاسة الولايات المتحدة الاميركية وهم الرئيس كولدج والمسترجون
دايش والمستر لافولت فوقف كل منهم ويده ورقة يتلو منها خطبة يبين فيها القواعد
التي يجري عليها في ادارة البلاد اذا فاز في الانتخاب . وكان الجمهور يرى صورهم
وحركاتهم ويسمع اصواتهم الموافقة لتلك الحركات في آن واحد . هذا الشريط الناطق
ليس من التلفزة في شيء لان الصور التي يشاهدها الناس على ستار الصور المتحركة
ليست بنت ساعتها بل يكون قد انقضى على تصويرها على الفلم ايام او اسابيع . ولكن
التلفزة ترمي الى رؤية ما يجري في الحال . اي اذا كان لديك تلفاز « اي آلة التلفزة »
وكنت متصلاً بمحطة تذيع ما يحدث في احدى دور التمثيل مثلاً فانك ترى على لوح
تلفازك كل ما يحدث في تلك الدار دقيقة دقيقة فترى الممثلين والممثلات يروحون
ويجيئون كأنهم بمشهد امامك او كأن قوة بصرك ازدادت نفوذاً فصرت ترى ما يجري
على بعد اميال منك

٢ — نقل الصور سلكياً ولاسلكياً

كذلك ترى ان التلفزة تختلف اختلافاً يَبَساً عن نقل الصور بالتلغراف او التلفون. لان نقل الصور يستلزم وجود صور فتوغرافية على فلم او لوح فتوغرافي فتوضع بحيث تخترقها شعاعة من النور تقع بعد اختراقها على بطرية حساسة لتغيرات قوة النور فتؤثر في الجرى الكهربائي الذي يتولد فيها وهذا يقوى ويرسل في الفضاء امواجاً لاسلكية الى ان تصيب محطة استقبال فتلتقطها من الفضاء وتحولها الى نور والنور يُرسم خطوطاً تختلف دقة وكثافة فتعيد مواقع الظل والنور التي على الصور الاصلية. وهذا الامر صار مطروقا في الصحافة الاوربية فاني اذكر اني رأيت في الصيف الماضي لما كنت في بلاد الانكليز صورة لدبسي وتني الملاكين يتلاكان نشرتها جريدة الديلي اكسبرس بعدما ارسلت اليها لاسلكياً من شيكاغو على اثر انتهاء المباراة بينهما. اما التلفزة كما مرّ معك فانيها نقل صور الاحياء يروحون ويحيئون لا نقل صورهم الفتوغرافية الثابتة

٣ — التلفزة سلكية ولاسلكية

وبعض الذين ينقلون معلوماتهم عن الصحف التي لا يجد اصحابها متسعاً من الوقت لتحقيق ما ينشرونه فيها يظنون ان التلفزة هي الرؤية «باللاسلكية» كما وصفها بعض الجرائد الانكليزية. والواقع ان معنى التلفزة الحقيقي حسب تحديد مكسب تسجيل المستنبطات الجديدة بلندن هو الرؤية بالتلغراف سواء في ذلك التلغراف السلكي والتلغراف اللاسلكي. ولا يخفى ان التلفون اللاسلكي الآن يشترك مع التلفون العادي في الحادثات التلفونية بين اوربا واميركا. وعليه فاستواء التلغراف السلكي واللاسلكي في التلفزة ليس بالامر الغريب لان الامواج الكهربائية هي التي تنقل المراتبات والاصوات سواء سارت على سلك او انتشرت في الفضاء

٤ — تاريخ الاستنباط

يعود البحث في الاركان التي تقوم عليها التلفزة الى سنة ١٨٧٣ في بلدة تدعى فلنشا على شاطئ ايرلندا الغربي. ذلك ان محطة تلغرافية كانت قد انشئت في تلك البلدة واقام فيها رجل يدعى المستر ماي يدير شؤونها ويستقبل التلغرافات التي ترسل من اميركا فوفق الى اكتشاف بسيط في نفسه. ولكنه كان القاعدة التي بنيت عليها التلفزة فيما بعد. ذلك انه لاحظ ابرة التلغراف المدونة تتحرك حركة لم يتمكن من تعليمها أولاً. وبعد البحث والتنقيب لاحظ ان شعاعة من نور الشمس تقع من النافذة

على بطرية السلينيوم وانها سبب الحركة الغريبة التي شاهدها في الابرة فكشف بذلك ان معدن السلينيوم يتأثر بالنور فتزيد مقاومته للتيار الكهربائي او تقل حسب قوة تعرضه او كثرتها . فثبت لأول مرة في التاريخ انه في الامكان تحويل النور الى امواج كهربائية او نقل النور على اسلاك كاسلاك التلغراف

وقد كانت مشكلة التلفزة تقسيم كل جسم تراد رؤيته الى الوف من البقع الصغيرة ثم نقل هذه البقع حسب قوة النور او ضعفه على سطحها الى الآلة المستقبلية وترتيبها احداها الى جنب الاخرى حسب ترتيبها على سطح الجسم الذي نزلت عنه على ان يتم ذلك في عشر ثانية على الاكثر حتى تتمكن العين من رؤيتها شبيهاً واحداً

وظن العلماء ان السلينيوم لا يلبث ان يتحول في ايديهم وسيلة للرؤية عن بعد ولكن ظنهم هذا لم يتحقق الا بعد انقضاء نحو خمسين سنة وبعد ما خاب ظنهم في معدن السلينيوم لبطء تأثره باختلاف قوة النور فاستنبطوا وسيلة افعل منه لتحويل النور الى امواج كهربائية يزيد بذلك البطرية الكهربائية — النورية Photo-electric cell وهي تفعل فعل السلينيوم ولكن فعلها اسرع جداً واثبت

وتلا ذلك استنباط الانابيب المفرغة على اختلافها فهدت السبيل لتحقيق التلفزة على وجه يبعث على الامل في ابلاغه درجة بعيدة من الاتقان

وكان اشهر المشتغلين بهذا البحث رينيو وفورنيه وسكزيانك وروزنغ وويلان فحاول كل منهم ان يحل المعضلة بطريقته الخاصة فلم يوفق احدهم الى تحقيق امنيته ولكن مباحثهم كشفت اموراً كثيرة استفاد منها الباحثون الذي جاءوا بعدهم وفي سنة ١٩٢٣ كان نفر من العلماء قد تقدموا في هذه الطريق وصنعوا آلات تمكنوا من ان يروا بها اشباح مرئيات حقيقية واشهرهم جنكنز ومور باميركا وهولوك وويلان بفرنسا وبارد بانكلترا . والفرق كبير جداً بين رؤية اشباح مبهمة ورؤية وجوه اناس يروحون ويحيئون وكل ملمح من ملامحهم ظاهر ظهوراً واضحاً . وعليه ارتأى بعض الباحثين ان تحقيق التلفزة المتقنة امر لا يتم قبل انقضاء سنين كثيرة

على ان المستر بايرد المستنبط الانكليزي جرب تجربة من هذا القبيل امام اعضاء المعهد الملكي بلندن في يناير سنة ١٩٢٦ فارسل صور وجوه من غرفة الى اخرى فكانت الوجوه التي استقبلت ورئيت رغم عدم اتقانها تفوق كل ما سبقها من هذا القبيل وواضحة وضوحاً جعل الذين شاهدوها يقولون « ان التجربة اثبتت امكان تحقيق التلفزة

وان عمل بايرد هذا داعٍ للعجاب والعجب.»

ومنذ قام المستر بايرد بتجربته المذكورة وهو مكبٌ على اتقان استنباطه وإطالة المسافة بين التلفاز المرسل والتلفاز المستقبل فكانت المسافة في البدء هي المسافة بين غرفة وأخرى ثم بين بلفاست بشمال أرنلدا ولقربول ومنشستر ثم بين لندن وغلاسجو والمسافة الأخيرة ٤٣٥ ميلاً فكللت هذه التجارب بالنجاح مما شجعه على تخطي دور التجربة والامتحان إلى دور التوسع في العمل. وفي يوليو من السنة الماضية أخذ يني محطة يذيع منها صور حوادث واقعة فيلتقطها من عنده تلفاز مستقبل إذا كان في دائرة تمكنه من الاتصال بالمحطة المذيلة

٥ — التلفزة بين لندن ونيويورك

وفي ٩ فبراير الماضي (سنة ١٩٢٨) تمكن بايرد من امتحان تلفازه بنقل صور المراثيات به من لندن إلى نيويورك مسافة ٣٥٠٠ ميل فوضع رأس لعبة أمام التلفاز المرسل بلندن أولاً ثم أزيل ووقف مكانه المستر بايرد نفسه ثم حل محله أحد الصحفيين فنقلت صورهم إلى نيويورك وشاهدها الرجال الذي كانوا أمام التلفاز المستقبل. وفي أثناء ذلك كان الفريقان يتحدثان معاً من حين إلى آخر بالتلفون اللاسلكي

٦ — الرؤية في الظلام

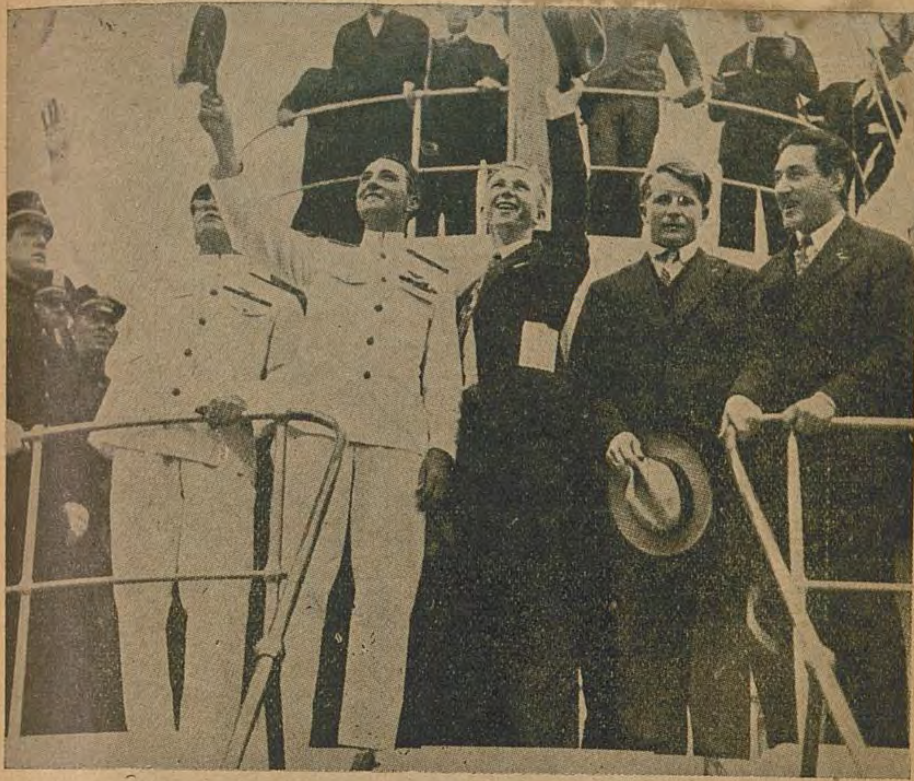
لا يخفى أن عين الإنسان تتأثر بالأشعة التي تتراوح بين اللون الأحمر واللون البنفسجي من الطيف الشمسي فإذا انعكست هذه الأشعة مفردة أو مجموعة عن شبح من الأشباح تأثرت العين وأبصرت ذلك الشبح. على أنها لا تتأثر بالأشعة التي تحت الأحمر أو فوق البنفسجي فإذا انعكس أحد هذه الأشعة عن شبح من الأشباح دون غيرها من أشعة الطيف الشمسي لم تستطع عين الإنسان أن تتبين ذلك الشبح. لكن بايرد استنبط عيناً كهربائية تستطيع أن تتبين الأشياء في الظلام لأنها تتأثر بالأشعة المظلمة أي الأشعة التي تحت الأحمر وهو من غرائب الاستنباط في هذا العصر. وقد دعي هذا الفعل نوكتوفيزيون Noctovision أو الرؤية في الليل ولا بد أن يكون له أثر كبير في الأعمال التجارية والحربية

وقد فصلنا فيما تقدم أنه ابتكر طريقة للرؤية عن بُعد يستطيع أن يرى بها الأجسام والأشخاص عن بُعد كما هي، فإراها ثابتة إذا كانت ثابتة ومتحركة إن كانت متحركة وبها تنقل المراثيات باستعمال النور المنعكس عنها

وفي الآلة الجديدة تتجمع الاشعة التي تحت الاحمر وتوجّه كما توجّه اشعة النور من مصباح كشاف الى البقعة التي يراد رؤية ما يجري فيها تحت ستار الظلام فتعكس عن الاجسام التي فيها فتتأثر العين الكهربائية بالاشعة المنعكسة وتنقل صور المرئيات الى الجهاز المستقبل وهو كالجهاز المستقبل في آلة الرؤية عن بعد فترى على لوحته صور المرئيات كأنها ستار للصور المتحركة

وفق المستر بايرد الى هذا الاستنباط البديع وهو عاكف على اتقان تلفازه. ذلك ان التلفاز كان يستدعي في بادئ الامر ان يكون الشخص الذي يراد نقل حركاته وسكناته به مغموراً بنور قوي لكي يتأثر التلفاز بهذا النور المنعكس عنه. ورأى المستر بايرد بناقب نظره ان نجاح هذا الاستنباط على وجه تجاري يستدعي ان يكون النور المنعكس عن الاشخاص او الاشياء طبيعياً فوالى البحث والامتحان حتى فاز بذلك. ثم خطر له ان اعتماداً في آله ليس على عين بشرية لا تتأثر الا بالاشعة التي بين الاحمر والبنفسجي بل هو يعتمد على عين كهربائية قد يكون في امكانها ان تتأثر بالاشعة التي تحت الاحمر او بالاشعة التي فوق البنفسجي. ولكن ثبت له عدم موافقة الاشعة التي فوق البنفسجي لذلك لان لها فعلاً في الانسجة الحية يتلف خلاياها وهي فضلاً عن ذلك ضعيفة النفوذ لا تلبث ان يمتصها الهواء فيضعف فعلها. فحول اهتمامه الى البحث في الاشعة التي تحت الاحمر ففاز بضالته المشودة وزد على ذلك ان تجاربه فيها أثبتت له انه يستطيع الاكتفاء بها دون نور الشمس المنظور. ولما جرب تجاربه هذه امام نفر من الخبيرين في الاسلحة البرية والبحرية والجوية في انكلترا طلب اليه من قبل الحكومة ان يحفظ سر آله في طي الكتمان

وقد جرب آله هذه امام طائفة من اعضاء المعهد الملكي ببلاد الانكلترا فكتب عنه السر الكسندر رسل في مجلة ناتشر مقالاً قال فيه « جرب المستر بايرد آله امامي وامام المستر كروكس فجلس احدهما في الغرفة التي فيها الجهاز المرسل ومعه احد مساعدي المستر بايرد وكانت الغرفة مظلمة. وجلست انا في الغرفة التي فيها الجهاز المستقبل وقد كانت في طبقة غير الطبقة التي فيها الغرفة الاولى فرأينا على لوح الجهاز المستقبل رأس المساعد وكل حركاته وسكناته. وكانت الصور التي رأيناها واضحة كل الوضوح فاستغل هذه الاشعة (الحمراء) في التلفاز يمكننا من ان نرى به ما يدور تحت ستار الظلام عن بُعد وهذا أمر لم يحقق قبلاً على ما أعلم »



رجوع الابطال وبرد في المقدمة رافع قبعة



الكومندر برد يضع اكليلا على قبر الجندي المجهول بباريس

كيف عبرنا الاوقيانوس الاتلنتيكي

اربعة في طائرة

للطيار الاميركي الكومندر وتشرد برد

جاء في الصحف اليومية قبيل كتابة هذه السطور ان طيارين المانيين وطياراً ارندياً فازوا باجتياز شمال الاوقيانوس الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا على متن طائرة المانية تدعى برمن Bremen ، وهي اول مرة فاز فيها الطيارون بعبور الجانب الشمالي من هذا المحيط من الشرق الى الغرب . وفي المقالة التالية وصف لبعض المخاطر التي يلاقها الطيارون في مثل هذه الرحلة . وهي تتمتع كلام الكومندر برد الذي نشرناه في مقتطف ابريل الماضي :

٢

الليل مدلمٌ . والغيوم متلبدة حول الطيارين ذاهبة في الجوّ قمّاً جرداءً او هابطة اودية خيفة كأنها افواهٌ الهاوية . وسلامة الطائرة والطيارين رهن الرياح التي علتوا عليها آملهم فان هبت من ورائهم ودفعتهم معها الى الامام تمكنوا من الوصول الى الشاطئ الاوربي قبل نفاد البنزين الذي معهم وكتبت لهم السلامة . وذلك ما كان . فانهم في اثناء الليل اتصلوا بآتهم اللاسلكية بالبوأخر التي كانت تمخر عباب الاوقيانوس على مقربة منهم . فطلبوا الى الباخرة الاولى التي تمكنوا من مخاطبتها ان تطلعهم على حالة الجوّ على سطح البحر فكان جوابها « ضباب : ضباب » . ثم طلبوا الى ربانها ان يعيّن لهم موقعها ففعل . ثم تمكنوا من مخاطبة الباخرة « باريس » وطلبوا الى ربانها ان يعيّن لهم موقعها ايضاً . ومن ذلك تمكنوا ان يعينوا موقعهم بالضبط . فوجدوا انهم كانوا قد انحرفوا جنوباً عن الخط الذي رسموه للجري عليه وبدلاً من ان يديروا مقدم الطائرة حينئذٍ ويتجهوا الى ارلندا كما كان قصدهم اولاً قرروا ان يسيروا رأساً الى رأس فستر بفرنسا

وبعد ما قاسوا مقدار البنزين الباقي معهم وسرعة سيرهم بعد مغادرتهم جزيرة نيوفوندلند ثبت لهم ان ريحاً غربية هبت من ورائهم فدفعتهم معها الى الامام وزادت سرعتهم نحو ثلاثين ميلاً في الساعة . ومع ان البنزين الذي كان باقياً معهم كان كافياً لان

يصل بهم الى رومية لم يقرّروا ان يفعلوا ذلك لان طيئهم كانت باريس فعلمهم ان يبلغوها . وكانت الرسائل اللاسلكية من انحاء اوربا قد اخذت ترد عليهم فشعروا كان العالم بأسره ينتظر انباءهم ويريد مخاطبتهم

وفي الوقت الذي قدروه وصلوا الى برست على شاطئ فرنسا الغربي ومنها اتجهوا الى باريس بعدما انقضى عليهم يوم كامل لم يروا فيه اثرأ لليابسة . وكان الجو حين وصولهم الى شاطئ فرنسا صافياً ولكن الافق كان ملبداً بالغيوم . فارسلوا رسالة لاسلكية الى مطار باريس ليسألوا عن حالة الجو فيها وفي جوارها فجاءهم الرد بان الجو مدهم ينذر بهبوب عاصفة هوجاء فجزعوا لهذا النبأ لانهم عرفوا ان امامهم معركة شديدة مع العاصفة ولكنهم لم يلبثوا ان سرّوا له لعلمهم ان الفوز في هذه المعركة يجيء برهاناً جديداً على تقدم الطيران وصحة الاعتماد عليه فساروا متجهين الى باريس . ولكن البوصلة التي اعتمدوا عليها في تحديد اتجاههم خاتهم لعطل اصابها ولما ظنوا انهم وصلوا فوق مطار لبورجه وانهم رأوا نور منارته يفري الدجى تحققوا ان النور امامهم انما كان نور منارة على شواطئ فرنسا تحذر البحارة وتهديهم

فاداروا مقدم طيارتهم واتجهوا الى باريس يخترقون الظلام ولا يعبأون بالرياح والامطار حتى خيل اليهم انهم بلغوها . ولكن الرياح والامطار الهائلة والغيوم المتلبدة منعتهم عن تحقيق موقع مطارها تحقيقاً يمكنهم من النزول فيه . وكان البنزين في احواض الطائرة قد اخذ ينضب رويداً رويداً حتى بلغ درجة صار العقل يقضي معها بوجوب الانكفاء الى الشاطئ ولو كانت باريس قاب قوسين او ادنى . لانه اذا نفذ البنزين واضطرت الطائرة ان تحط على الارض في هذا الظلام الدامس كان لا مفر من تحطمها وقتلهم . والكومندر برد يظن انه حين قرر العودة الى شواطئ فرنسا كان فوق باريس بدليل ان هدير محركات الطائرة سُمع فيها . ولكنه كان مسؤولاً عن حياته وحياة رفاقه فلم يشأ ان يعث بها عبثاً اذا استمر انتهى بفاجعة اليمة

ومع ذلك فالتقرار على الرجوع لم يضمن سلامة الطيارين لان نزولهم سالمين على سطح الماء في ظلام حالك امر مشكوك فيه . ولكن عناصر السلامة في النزول على سطح الماء كانت اوفر من عناصر السلامة في النزول على اليابسة . ولذلك كان قرار العودة الى الشاطئ لا مندوحة عنه

واتجهوا الى المنارة التي كانوا قد رأوها ظانين انها منارة لبورجه بباريس فبلغوها

وحاموا حولها وهم لا يدرون اين تلتقي اليابسة بالبحر وهل هناك شاطئٌ رملي يستطيعون النزول عليه سالمين. ولكن لما دار نور المنارة دورته جلا لهم المكان فتحققوا انهم كانوا فوق البحر وان المطر لا يزال يهطل غزيراً فعزموا للحال ان ينزلوا على سطح البحر ولكن على مقربة من الشاطئ حتى يتمكنوا من السباحة اليه. على انه كان عليهم ان يبعدوا عنه بعداً يمكنهم من اجتناب الصخور الناتئة حيث الماء ضحضاح وكان معهم اسهم نارية يشعلونها ويرمونها فتضي بضغ ثوان تمكنهم من رؤية ما حولهم فاضاءوا بعضها ووجدوا انهم كانوا على نحو ٩٠ متراً من الشاطئ وهنا نترك الكلام للكومندر برد قال :

كانت الساعات التي قضيناها في مصارعة العاصفة حافلة بالوجل والتعب. وكنت اشعر اني مسؤول عن حياة رفاقي. واعتقد انهم لم يروا في نزولنا على سطح الماء املاً كبيراً في النجاة. ولكنهم بقوا يتلقون الاوامر وينفذونها بشجاعة وصبر رغمًا عن اعتقاد بعضهم انهم واردون حتفهم

كان بلخن يسوق الطائرة فاصدرت الاوامر اليه بالنزول الى سطح البحر وفيما نحن نازلون الى سطح الماء كانت رنة المحركات تدل على انها لا تزال سائرة على غاية ما ينتظر من الدقة والانتظام بعد مسيرة ٤٢ ساعة فلم املك نفسي من الاعجاب بمئاتها ودقة ضنها رغم الخطر العظيم الذي كان يحيق بنا في آخر مرحلة من مراحل رحلتنا

ولما اقتربنا من سطح الماء لم نره لاشتداد الظلام فلما مسست العجلات سطح الماء انبثرت من الآلة كأن سكيناً حادة قطعها قطعاً رغمًا عن مئاتها من غير ان تهتز الطائرة او ترتج مما يثبت قوة مقاومة الماء لجسم يسير على سطحها سيراً سريعاً

وكان الصدمة الكبرى حصلت بعد ذلك بثانية واحدة. كنت واقفاً امام النافذة احاول ان انظر الى الماء تحتنا فلم اشعر الا وانا في البحر احاول السباحة للنجاة. كان ستار الظلام لا يزال مسدلاً والمطر يهطل غزيراً كثيفاً. وسمعت نوقل يدعوني ثم صمت فكان السكون الذي ساد في تلك اللحظة رهيباً وخصوصاً بعد ما سكنت المحركات التي بقيت ٤٢ ساعة ترن في آذاننا حتى كادت تصمها

اما الطائرة فامتلات بالماء حالاً. وكأني شاهدت نوقل يخرج من نافذة الطائرة فسألته باعلى صوتي كيف حالته فلم اتلق جواباً. فدب الوجمل الى نفسي وناديت

بلخن واكوستا فلم اسمع جواباً فازداد وجلي . فسبحت الى ناحية الطائرة فوجدت بلخن عائفاً بالطيارة يحاول التلمص منها ولم ارَ أثراً لا كوستا فظننا انه لا يزال في مقعد السائق وكان هذا غارقاً تحت الماء ففصنا لنساعده على الخلاص فلم نجده هناك وفيما نحن تناديه من غير ان نتلقى جواباً على ندائنا رأيتاه يسبح بيننا كأنه طلع من البحر او نزل من السماء . وكان سبب كل ذلك ان صوت المحركات كان قد احدث صمماً مؤقتاً في اذان رفاقي فلم يسمعوا نداي . اما انا فكنت قد استعملت ما يقي الاذان من شدة الصوت فبقي سمعي طبيعياً

وكان معنا زورق من المطاط نستطيع ان نفخه حين الحاجة اليه ونستعمله فسبحنا الى جناح الطائرة وجلسنا عليه نحاول نفخه . وكانت معنا قطعة في الطائرة من العلم الاميركي الاول فلما حصلنا عليها وضعنا المجاذيف في القارب واتجهنا الى البر

كنا حينئذ على مسافة ميل من قرية فير — سير — مير Vers-sur-mer

فلما وصلنا اليها كان السكان لا يزالون مستغرقين في النوم وكل بيت تحيط به حديقة وجدار وفيما نحن سائرون رأينا ولداً ممتطياً عجلة فلما رأنا اسرع في سيره ظناً منه اننا متشردون

اخيراً وصلنا الى المنارة فوجدنا مديرها وزوجته مستيقظين ولقينا بعض الصعوبة في اقناعهم باننا لسنا مجانين واننا طرنا من اميركا بطيارة نزلنا بها على مقربة منها . وبعد ما استرخنا قليلاً عدنا الى الطائرة لانقاذ الرسائل التي كُنا قد حملناها معنا ووعدنا بايصالها الى اصحابها . والظاهر ان المدّ كان على اعلاه حين نزلنا في البحر فلما عدنا الى الطائرة كان الجزر على اوطام فوصلنا الى الطائرة مشياً على اليابسة وخرج بعض سكان القرية فساعدونا . ما عشت لا انسى ما احاطنا به هؤلاء القرويون من العطف والمساعدة وقبل ما غادرنا فرنسا للعودة الى اميركا امتطينا سيارة من باريس وزرناهم لنحييهم تحية الوداع

اما عن حفلات الاستقبال ومظاهر الفرح والابتهاج التي استقبلنا بها الجمهور الباريزي من اصغر الافراد الى اكبرهم واعظمهم مقاماً فلا محل للتبسط فيه هنا . ويكفيني ان اقول ان مثل هذه الرحلات من افعل الوسائل لاحكام روابط المودة والوثام بين الشعوب

رشدی باشا

لست أحاول في مثل هذه العجالة ان اجلو على القارى الكريم صورة كاملة لرشدی باشا او ان اترجم له ترجمة وافية تكافى عظمته العظيمة ، فان من فتنه الدعوى ان تظن ان مثل حسين رشدی كله يجتمع في مقالة او في مقالات. انما هو من اولئك الافاذ المعدودين — إن لم يكن في العالم كله في الشرق على الاقل — فما اخلق رشدی بان يتجرد لبحثه وتحقیق عبقریته نقر من علماء النفس والتاریخ ، واذن لخرجوا منه كل يوم بعظیم

سأحدث في هذا المقال عن رشدی لا حديث باحث محلل یرد غرائزه القوية الى مناجها من قضايا علم النفس ويصل كل ناحية من نواحيه بارتابها في عطاء الناس ، ولكنني اروي عنه حوادث متفرقة شهدتها كلها بنفسی او ترويتها عن الثقات الذين لا يفرق الشك حول خبرهم ، ولربما عرضت لبعضها بشيء من التحليل ، على اني في ذلك اذكر ان اجمع كل حادثة الى اختها ، واضم كل واقعة الى ما يشابهها حتى يمكن ان يسق من هذه الامشاج هيكل لرشدی باشا اذا كان ضئيلاً فهو صادق على كل حال

نشأته

رشدی باشا على انه نشأ في الحسب لانه ابن محمود باشا ابن دبوس اوغلي او طبوز زاده الكبير الا انه لم ينجم في الغنى ولم يتقلب في صدر شبابه في النعمة التي يتقلب بها من تسلسلوا من مثل يتيه . ولقد شخصت اليه يوماً مع المرحوم والدي لزيارته وهو رئيس وزارة فجعل يتحدث بنعمة الله عليه ، وكان مما قال : انه كان طالباً في باريس فمات والده المرحوم محمود باشا دبوس اوغلي واذا كل ما تركه لبنیه الاربعة (ثلاثة اولاد وبنتين) ستمائة (بنتو) خرج حسين منها بمائة وخمسين كانت هي كل مادته لطلب العلم والعيش الجاهد في باريس . فانظر كيف عانى هذا الشاب في صدر العمر وكيف كافح الشهوة والايام ليعيش في باريس بمائة وخمسين (بنتو) لا يرفدها الا نصيب (كمصة الوشل) في وقف دبوس اوغلي الكبير ، ويصبر على هذا العيش ويروض النفس له في طائفة ورضى حتى يظفر (بالكتوراه) ويسبق في الامتحان لدائه جميعاً !

ولقد كان رشدی باشا لعوباً طروباً فكان يمضي عامه الاطول في لهُو الشباب وفي

عبث الشباب ، قل ان يحتجز لمذاكرة الدرس ومراجعة الاساتيد ، حتى اذا كان بينه وبين اوان الامتحان شهران مضى الى الحلاق فسأله ان يحلق رأسه كله بالموسى لكيلا يجروا علي ان يتدلى بعدها في الشوارع او يغشى الملاهي العامة ، وانقبض هذين الشهرين في غرفته مكباً على الدرس جاهداً فيه ، حتى اذا تمثل الى امتحنيه لم يقع بأن يكون طالباً ناجحاً فحسب ، بل لقد تعمد مطاولتهم والولوغ بالتفنيذ في قضاياهم ، وانتهى بهم او انتهوا به الى الحكم بان هذا التلميذ غير ما خبروا من التلاميذ ، وان هذا الذكاء غير ما عرفوا من الذكاء !

فقد خرج لنا من هذا ان رشدي من يوم تدلّى الى الدنيا تدلّى اليها بخلتين لا يد فيهما لتعليم ولا تدريب ، إنما هما من صنعة الله الذي يقول للشيء كن فيكون ، وهما العزم الحيار والذكاء العجيب !

نظاؤه وفطنته

لقد كان هذا الرجل الى يوم قبض الى رضوان الله متسعر الذهن ملتهب الذكاء ، ولعله كان اذكى من انبوا من المصريين جميعاً ، وكان حاد الفطنة مرهف الحس ، ولقد كنت تطرح عليه القضية تحتاج الى تسريح النظر واجالة الفكر ، وترتيب مقدمات القياس بحيث تتمكن كل واحدة منها في موضوعها المقسوم حتى يهيا تحلب النتيجة المنطقية ، وكل هذا يحتاج الى جهد ، وكل هذا يحتاج الى بسط في الزمن ومطاوله في التفكير والتدبير ، ولكن رشدي كان ينحط بك الى النتيجة الصحيحة السليمة قبل ان تتم لفظك . وتفرغ من قولك . ولقد مضيت يوماً اتفرج في الجمعية التشريعية ، وكان رشدي ، على ما اذكر ، وزيراً للحقانية ، وطرح على الجمعية مشروع قانون وضعته الحكومة لردم البرك ، وكان الكلام في جزاء من يتخلف من الاهلين عن ردم بركة تدخل في ملكه ، وفي ان الحكومة في هذه الحال تردمها بالقوة عنه وترجع بوجوه النفقات عليه ، فانبعث المرحوم عبداللطيف المكباتي بك وقال : فاذا كان للحكومة بركة فتمدّرت على ردمها فينقض بحق للاهلين ايضاً فلم يدعه رشدي يتم تشريعه ، بل لقد جَمَز من مجلسه جمزة عنيفة وصاح ملهاته هذه ثورة ! فانقض المجلس كله إتفاضة عنيفة واحتج على الوزير واقتضاه (ان يسحب) هذه الكلمة ، كلمة الثورة (فسحبها) وهو ، ولا ريب ، يعلم ان قوله الحق ، وان القوم لم يلحقوه ، او ادركوه ولكن لم يريدوا ان يسجل على جميعهم انها تطلب

الثورة ، (فسحبها) ! واست اشك في انه فعل مصانعة لرأي القوم ، والافية ثورة
المنع واخبت من ان الحكومة اذا وكت في عمل من اعمالها نفذ الاهلون ذلك بالقوة
عليها ، ورجعوا عليها بما بذلوا في ذلك من النفقات ؟ !!!

الواقع ان رشدي باشا كان رجلاً حديد الفطنة ، فلم تكن فطنته باية حاجة الى ان
تسلك على مقدمات القياس فتجس كلا منها ، حتى اذا استوثقت من سلامته اقرته في
موضعه ، ثم خلصت بعد كل هذا الى النتيجة فاستخرجتها في هوادة ومطمئن اناة ، بل
لقد كان يمر بذهنه على هذا كله مر البرق الخاطف فيقبض على النتيجة الصحيحة في أسرع
من ردة الطرف إذ انت تحسبه يذكو ذكاء القروء لا يلح في طريقه او لا يعنى في
طريقه الى النتيجة بوجوه الاسباب والعلل في حين قد لمحها جميعاً وعنى بها جميعاً ،
ويمكن بذلك الذهن (الاكسبريس) الذي لا يقف على صفار المحطات ، على انه حتماً
يجوز بها في سبيله جميعاً

ولعل هذه حدة الذهن ، ولعل هذه صولة العقل في حسين رشدي قد حطت من
شأنه عند كثير من اولئك الذين لم تههم الطبيعة ما وهبته فكانوا أعجز من ان يطيروا
في الفهم مطيره ، اذ هو يعد رجل عصبي جائش سريع لماع الذهن تقاوله في الامر
فيفذفك بحجته على نحو ما يصل هو ويدعك لذهنك المطمئن المعتاد ، فلا يسعك ، وأنت
بعض معذور ، إلا ان تظن بالرجل عبثاً ، هذا اذا لم تكن رزين الذهن فتحسب ان
الرجل قد خرف وأهتر !!!

عبقريته

لقد كان رشدي باشا عبقرياً بقدر ما يمكن ان تأذن به هذه الكلمة ، ولقد
سلك عليك انه كان في صدر ايامه شاباً لعبوا يعطي شبابه مدى أشربه ، فلم يكن كل
ما بها لرشدي من العلم الفحل في القانون ، بمختلف فنونه ، ابن التعليم ولا طول
المراجعة وحفظ القضايا المرسومة ، انما كان ابن الاستعداد ، ابن العبقرية ، وفي النهاية
ابن تلك الطيفة الروحانية التي يهبها الله المتخيرين من عبادهم فتدركها فيهم لا تملك لها
غلباً ، ولا نستطيع لسببها تأويلها . كان رشدي في هذا البلد ملك القانون غير
سائق . سلم له بهذا سعد ، وهو من تعرف شدة عقل وكفاية لا يتراعى اليها حد ،
وسلم له بها عدلي ، وعدلي إذا ذكر أحضرك المثل الاعلى لسلامة الفهم والبصير بالاور

والرأي النصح تقطع من دونه جهود التفكير ، وسلم له بهذا ثروت ، واذا قلت ثروت قلت كل بليغ في الفضل وكل عظيم . وسلم له بها من يلي هؤلاء علماء وبصيرة وجلالة محل وشدة خطر ، إذ رشدي في الحق ، لم يقرأ أكثر مما قرأ غيره ، ولم يتوفر أبلغ من سواء على الدرس والتحصيل . وما شاء الله كان

ولقد اذكر انه في احدى جلسات لجنة الدستور ، وكنت من سكرتيرها ، اقترح أحد الاعضاء مبدأً دستورياً لا يحضرنى موضوعه الا أن فصدده رشدي في عنف وقال : ان هذا مبدأ غير مستقيم ولا يمكن ان يؤذن به في قواعد دستور ، فقال العضو ، وهو من الاذكياء المتفهمين : ولكنه قد أخذ به في دستور كذا ، وسمى دولة لعلماء من تلك الدولات التي انصدعت عن روسيا ووضعت دساتيرها بعد إذ ضرب الفالج رشدي وصرفه عن درس القوانين . فأكد رشدي انه وإن لم يرد ذلك الدستور الا أنه يقرر ان ما زعمه العضو لا يمكن ان يكون ! وتحتاج ساعة ثم انتهى الى ان يأتي العضو من غده بنسخة ذلك الدستور . ولكنه في اليوم الثاني إنما جاء معذراً بأنه بعد إذ راجع المادة أدرك ان العجلة زلت به اول الامر عن تفهم الكلام . وهكذا كان مخ رشدي نيراً سليماً مطبوعاً على القانون وللقانون ، صادق الحكم فيما قرأ وما لم يقرأ . من احكامه ومبادئه

قوة هجته

كان رشدي باشا من أشد خلق الله حجة وأمضاهم قولاً ، يحكم له بهذا كل من اوتي فطنة يلمح بها ما يترأى لذهنه اثناء التدليل من فنون الاسباب والعلل ، على انه قد اجتمع عليه الى تلك الحالة « العصبية » ضعف المادة في لغة العرب ، فلم يكن لبيانه اذا تكلم بهذه اللغة او كتب من الوضوح ما يتوافى لجلالة معانيه ويواني براعة تدليله . ولكنه برغم هذا كان اذا كتب ارتفعت قوة معانيه بعباراته العربية حتى يجيء منها أحياناً بالرائع الجزل الذي لا يتهيأ لمن له مثل حظه القليل من لغة العرب والتفقه في أدبها وإني لا ذكر انه اختلف يوماً مع بعض المصطفين الاعلام من أعضاء لجنة الدستور على مسألة ، لا محل لايرادها الآن ، فذهب الى رأي أزعجهم وبعثهم بالانكار والاحتجاج ، وكلا سأله ان يصبروا حتى يدلي اليهم بحجته صاحوا في وجهه ودافعوه بغليظ الكلام . واخيراً وثب من مجلسه واهاب بهم باعلا ما اتسعت له لهاته : يا حضرات السادة : « استمعوا لي حتى افرغ من حجتي ثم فندوها بكل ما عندكم من

حجة ودليل» ثم اطأ أن قليلاً وعاد فقال في رفق ولين إلقاء: «ولكنكم لن تستطيعوا!» فسكت القوم وتكلم رشدي ثم تكلم، فما هو والله إلا أن راح يلعب بالالباب لعباً، وما هو إلا أن راح يستعرض كل ادلتهم وما حصلوا من حجاج فيشد وثاقها ثم يلقها بين يديه واحدة بعد واحدة والقوم ذاهلون عن مصيرهم بما تداخلهم من العجب ومن الطرب، حتى اذا ذابت آيتهم تحت لسانه كما يذوب الثلج في اليوم القاطئ اقبل على معارضيه في تؤدة واطمئنان وقال لهم: اذن فتكلموا، فما هي الا رؤوس منفضة وافواه مغمورة، ثم تصفيق يرتفع الى السماء من اعجاب ومن افتتان !!!

ولقد حدثت احداث الاسكندرية في مايو سنة ١٩٢١ ورشدي مع عدلي في لندن يفاوضان كيرزن في المسألة المصرية. وكانت السلطة العسكرية قد ملكت الامر كله عن الحكومة المصرية، وتولت هي التحقيق بقوة الاحكام العرفية التي كانت مبسوسة يومئذٍ على البلاد. فلما انتهت المفاوضات الى الكلام في حماية الاجانب وعارض المفاوضون المصريون في ان يكون هذا الى انجلترا دفع اللورد كيرزن اليهم بتحقيق السلطة العسكرية في حوادث الاسكندرية وما دغ المصريين ظمناً بالوان الوحشية وما اضاف اليهم من امور تقشع منها الجلود. فتناول رشدي باشا هذا التحقيق ويده صفر من كل شيء، لان التحقيق، كما قلت لك، استقلت به السلطة العسكرية، فابت على رشدي عزيمته وابته عليه وطنيته وابته عليه عبقريته الا ان يكسب ليلته كلها على هذا التحقيق، والله يعلم ماذا بذل من مخه، والله يعلم ماذا هراق من ذكائه حتى اتسق له في الصباح تقرير بعصف بهذا التحقيق عصفاً ويشهده على نفسه بالبطل وشدة الحمل على المصريين، ثم مضى به الى لورد كيرزن فالفاه اليه، وما إن قرأه حتى سأل ان يتقاص الطرفان. وكذلك اخلت حوادث الاسكندرية الطريق!

نعم لا يعرف احد ما بذل رشدي باشا ليلته من عزم وذكاء ليدفع عن وطنه كل هذا البلاء، ولكن كثيرين يعلمون انه بذل الصحة، او على الصحيح بذل الحياة، لانه لم يدُر عليه يوم او يومان حتى ضربه الفالج فابطله حيناً ثم اتى في النهاية على حياته العزيزة الغالية

شجاعته

ولقد كان رشدي رجلاً شجاعاً كل الشجاع، يجهر بكل ما يعتقد واقفاً كلامه حيث وقع لا يبالي في ذاك شيئاً ولا يبالي فيه احداً. وإن امرءاً كرشدي قوي العزم عظيم النزاهة

وافر الاخلاص شديد التمكن من النفس لا يجد أية حاجة لان يرأى الناس او يماريهم ويتحرف لهم ، بل هو كل حقيق بأن يعد كتفه لاحتمال كل ما يحمله سعيه من التبعات ولست أريد ان اعرض لشأنه في اعقاب سنة ١٩١٤ فذلك ، كما اشار رئيس مجلس النواب ووكيل مجلس الشيوخ في تأييده ، من حق المستقيل يحكم فيه بعد ان يطالع ما طاف به من الظروف وما اتكا عليه من الاسانيد . إلا انني في هذا الباب لا أنسى أن رشدي كان شجاعاً في احتمال تبعه ما وقع على يديه وكان له (بالطبع) رأي فيه إن خيراً وان شراً . وهو على انه ، كما علمت ، قد راجع الكثيرين من اصدقائه في الامر فأقروه واجازوه ، إلا ان شجاعته أثبت عليه في معرض الجدل ان يشرك معه في تبعه الامر احداً ، بل لقد مضى بها وحده محتسباً انصافه عند التاريخ وحده

لقد تعلم انه سير سفينة الحكم طوال مدة الحرب ، ولقد تعلم ما حاق بمصر ايام الحرب من هول وشدة ، ولقد تعلم ما كان للسلطة العسكرية من صولة وقوة ، وغداً ستعلم ما كان لرشدي باشا من مواقف يكف بها العاديات عن المصريين لا يقفها الا الرجل الشجاع وجاءت الهدنة العامة ، وأعد الجبار السرب ونيات عدته لاتهم مصر واخرج مشروعه الذي يسئل به الحكم من ايدي المصريين سلاً . وخاف الناس وانقبضوا في أكسار دورهم من خوف ورهبة ، وبرز له رشدي بتقريره الوطني الخالد على وجه الدهر . وسرعان ما كسره به تكسيراً ، وكان ذلك اول آذان بالثورة المصرية . حتى اذا تعذر عليه الانجليز ودلوا بقوتهم ، اضرب ، وهو رئيس الوزارة ، عن الحكم أشهراً ، فكان صنيعه حدوة للموظفين فأضربوا جميعاً وكان اضربهم أبلغ مظهر للنهضة المصرية . ولقد سمعت منه رحمه الله ان الجبال قد فتلت لرقبته مرتين فما أبه ولا بالي في سبيل وطنه ، وكذلك يكون الرجل النذب الشجاع

ومما يذكر له في هذا الباب انه كان في مفاوضات سنة ١٩٢١ وجرى الكلام في الاحتلال الانجليزي ، وأصر المفاوضون المصريون على طلب الجلاء ، فقال لهم اللورد كيرزن في شيء من التهمك : واذا سجننا عسكرينا من بلادكم ألا يجوز ان تحتلها اليونان في اليوم الثاني ؟ ! فانتفض رشدي انتفاضة شديدة واجابه من فوره : لا تنس يا لورد ان اسلافك حين حاولوا غزو مصر القاهم هؤلاء المصريون في البحر ، وكان ذلك بقيادة جدي أنا ! (يريد رحمه الله موقعة رشيد) فوجم اللورد كيرزن ووجم الحاضرون جميعاً ، وبعد سكوت طويل او قصير صرف اللورد الحديث الى شأن آخر !

نراهنه

تقلب رشدی فی مناصب الحکم حتی صارت الیه ریاسة الوزارة ، وحتی طرح القدر بین یدیه یوماً امر مصر کلها . وكان طوال زمن الحرب کل شیء (فی الجهة المصریة علی الاقل) فما التمس قط لنفسه ولا لاحد من یلوذون به مغناً من ای نوع کان ، وعزیز علی ان انوه بشرف رشدی وان اشید بنبل نفسه ، فان مثله لاجل من ان تلحق ذمته التهم . ولقد وافقته مرة فی مکتب المرحوم احمد الازهری بك من كبار موظفی مصلحة الاملاک ، وهو یسأله فی تأحیل دین علیه للمصلحة ، ذهب عني قدره بالضبط ، علی انه علی کل حال یضطرب بین الستمائة جینه والثمانائة . ثم التفت الی بعض الحاضرن وقال فی مرارة أردفها بضحكة مصنوعة : یقولون انی بعت مصر بثلاثة ملايين فهلا دفعوا منها لمصلحة الاملاک هذا المبلغ واخذوا لانفسهم الباقي ؟

عطفه وبره

كان رشدی نبیل الاحساس بالغاً من طيبة القلب مبلغاً لا یکاد یلحقه فیہ انسان . فما اصاب عانیا او مدنفاً او امرءاً تغیر له الزمن الا احس بانه هو المستول عما ضربته به الايام . وكثیراً ما تنتضح عینا هذا الرجل الشجاع بالدمع اذا رأى مكلوماً فی جسمه او ممتحناً فی اسباب حیاته . اما ماله واما جاهه العریض فذلك كله نهب مقسم بین العافین من الناس . ولو كان رشدی باشا یملك کل ما فی الدنیا من مال لخرج عنه لطالیبه فی سماحة واسجاح . ولقد تقسم وقته ، فی اخريات سنیه ، بین ان یفرق علی الناس کل ما احتوته محفظته ، و بین ان یتوف بهم الدواوین یشفع لهم فی قضاء الحاجات . ولقد اسرف فی هذا حتی ابتذلت شفاعته او کادت تبذل عند الحکام لشدة افراطیه فی الرجا ، علی جلالة محله لديهم وسمو قدره عندهم . وحتی خرج من الدنیا صفرأ الا من الشرف والا من أعلى الذکری لاعلی الرجال

وبعد فلقد خسرت مصر من غیر شک بموت رشدی باشا مجموعة من المواهب جليلة غالية . واذا كانت الايام تتجرب لنا رجلاً فی علمه ، او فی عبقریته ، او فی شجاعته ، او فی وطنیته ، او فی طيبة قلبه ، او فی نبل اخلاقه ، او فی کرم یدم . فهیات ان تتجرب رجلاً جمع معاً کل هذه الخلال كما جمعها فقیدنا العظیم ، وان لم یکن ذلك علی الله بعسیر

عبد العزیز البشیری

الأستاذ جبر ضومط

ومباحثه في نشوء اللغة العربية

وجدنا هذه المقالة في أوراق المرحوم الدكتور صروف وكان قد كتبها قبيل وفاته لتتلى في حفلة تكريم الأستاذ ضومط . ننشرها الآن لأن قرار لجنة التكريم قد استقر على إقامة الحفلة في ٢٨ إبريل كما ذكرنا في مفتطف إبريل الماضي

للشيخ اوقات يود فيها انقضاء الاجل ويقول مع لييد
ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لييدُ
وهي اوقات الضعف واوقات المرض واوقات فقد الاخلاء والاقارب. وله اوقات
غبطة وجبور اوقات يرى فيها تحقيق اماني الشباب او يجني ثمر ما غرسه زمن الكهولة
او يسمع عن فوز رفاقه واصدقائه ومحبيه
كل ذلكم مرَّ عليَّ وأبقي اثره في نفسي . تولاني الضعف في سمعي حتى صرت
اتجنب المجتمعات ومرضت في بداءة العام الماضي حتى قطع الرجاء مني وفقدت والديَّ
واخويَّ وثلاثاً من اخواني وجماً غفيراً من تلاميذي واصدقائي
ولكن هذه المساوي تقابلها نعم كثيرة حيث بها ومنها ما دطاني الى كتابة هذه
السطور وهو ان احد تلاميذي في الصغر ورفصائي في الكبر بلغ بسعيه وجاهده درجة
اهلته لان يحتفل به عارفو فضله في بلاده وفي سائر البلدان حيث انتشر تلاميذه
وقرئت كتبه وعرفت آراؤه العلمية

صديقي الأستاذ جبر ضومط بل الفتى جبر ضومط رأيتُه منذ ثمان وخمسين سنة.
ذهبت الى برج صافيتا او صافيتا البرج في صيف سنة ١٨٦٩ واقت فيها اكثر من شهر
ولا تزال صورتها في ذاكرتي لانها ممتازة ببرج شاهق مبني بحجارة جافية لم ارا أكبر
منها الا الحجارة الكبرى في قلعة بعلبك . ارتفاع هذا البرج اكثر من ثلاثين متراً او
نحو ارتفاع برج الساعة في هذه الجامعة وطوله اكثر من ثلاثين متراً وعرضه نحو
عشرين ونحو جدرانها — وهنا المزية الكبرى — ثلاثة امتار الى اربعة حتى ان
السلم الذي يصعد به الى طبقته العليا والى سطحه قائم في باطن جدار من جدرانها
وحول هذا البرج مبان نفمة حجارتها كبيرة منحوتة باقية من قلعة قديمة بها بناها
الصليبيون اما البرج قلعه بني في عهد الفينيقيين او الرومان

بناءً مثل هذا ترسم صورته في الذهن ولا سيما في ذهن الشاب قبلما تكثر مشاغل الحياة وترسخ معه صور كل ما حوله أو يتصل به . وقد مرَّ عليَّ الآن ثمان وخمسون سنة ولا ازال اتذكر صافيتا وكل ما رأيته بها او الذين لقيتهم من سكانها أفلا يؤثر منظر البرج العالي في نفس ولد من ابناء تلك القرية يراه كل يوم من حيناً ميّط عنه التهايم ويحمّله على طلب المعالي

كانت اقامتي في غرفة على تلٍ مقابل للبرج والى جانبها مدرسة صغيرة لاولاد القرية انشأها المرسلون الاميريون يعلم فيها رجل من اهل السقي وبين تلامذته ولد لم انس صورته لانه انتقل بعد ذلك الى مدرسة عييه فكنت اراه فيها ثم صار تلميذاً لي في هذه الجامعة وخلفني في تدريس العربية وآدابها . ولم يقنع بالخطط التي سار عليها اسلافه بل اختط خطة مبتكرة في الدرس والتدريس

هذه مقدمة طويلة اطول من كل مقدمة كتبها . ولكن لا تخافوا ان آتي بعدها بكلام مسهب لاني اعلم ان الوقت محدود ولو كان الموضوع حقيقاً بالاسهاب الاستاذ جبر ضومط لو اكتفى بنظم الاشعار كما كان ينظم بُعَيْد رحلته الى السودان او بتعليم الصرف والنحو والبيان كما يعلمها كثيرون غيره لما استحق في رأيي ان يحتفل به هذا الاحتفال ولو قضى في التعليم ستين سنة لا خمسين او لما وجدت سبيلاً لاقاء هذه الكلمة عنه . ولكنه عمل ما هو اهم من ذلك كثيراً بحث في نشوء اللغة العربية بحثاً احسبه مبتكراً عندنا ومهداً لعمل اعدّه من انفع الاعمال

المشتغلون بالعلم كثيرون ولكن قلّ منهم من يبقّي اثرًا يذكر به . فالذين اشتغلوا بقواعد العربية منذ الف ومائتي سنة الى الان يعدون بالمئات او بالالوف ولكن قلما نذكر منهم غير سيديويه والمبرد والكسائي وابن جني وابن مالك وابن هشام وامثالهم من الذين وضعوا قواعد الصرف والنحو ومع ذلك فعمل هؤلاء كلهم مقصور على الجمع والتبويب وما منهم من بحث عن اصل العربية وكيف نشأت كلماتها وتصاريفها . فاننا صرنا نعلم في هذا العصر ان لغات البشر التي تعدّ بالالوف كانت في زمن متوغل في القدم لغة واحدة قليلة الكلمات بل الاصوات ثم تفرقت طوائف وكل طائفة تشعبت شعباً كثيرة ودخل المزج والتحت في كلماتها حتى بلغت ما بلغته وهذا شأن العربية ولكنني لا اعلم ان احداً اطلق هذا البحث على العربية من ابناءها قبل الاستاذ جبر ضومط

الذين تعلموا الصرف والنحو وعلموها لا يحصى عددهم ولكنني لم ارَ لاحد بحثاً في كيف بني الفعل جالس على فتح آخره ولا كيف تدخل عليه الهزمة فيصير متعدياً بعد ما كان لازماً ولا من اين اتت التاء التي تلحق الفعل الماضي فتدلُّ على المتكلم اذا كانت مضمومة وعلى المخاطب اذا كانت مفتوحة وعلى المخاطبة اذا كانت مكسورة. ومثل ذلك كل تصارييف الافعال مجردة ومزيدة مفردة او ملحقة بالضمائر فانها كلها بلغت صورها المعروفة بعد ان دخلها المزج والنحت مدة قرون لا تحصى. والاستاذ ضومط تمكن من البحث في هذا الموضوع وكشف الستار عن غوامضه لمعرفته العبرانية والسريانية شقيقتي العربية ولو عرف الحميرية والحبشية لزاد توسعاً في البحث وكشفاً للغوامض فهو مثل ورز وليل في علم الحيولوجيا وتولد طبقات الارض ومثل لامارك ودارون في نشوء الاحياء وتولد بعضها من بعض ومثل مندل في كشف ناموس الوراثة وتطبيقه على الاحياء

اليكم بضعة امثلة من كتابه الخواطر في اللغة الذي نشره منذ اثنتين واربعين سنة فانه وجد اولاً بالاستقراء ان الكلمات المتشابهة في مخارج بعض حروفها تتشابه في معانيها كجذع وجدع وجدم وجذم وكبض وحبط. وكهجا وهجع ونخم وكنم ونخر ونخر وختل وكقطب وقطف. وارتأى ان ذلك كان سبباً لتولد كلمات مختلفة لفظاً ومشاركة معنى. ووجد ان وزن المطاوعة (انفعل) مركب من لفظة انا ضمير المتكلم والفعل المجرد فقولنا انغمست مساوٍ لقولنا انا غمست او غمست نفسي. ووزن افتعل اصله افتعل كما يلفظه المصريون وهو مركب من ات ومعناها ذات او نفس وهي ات في العبرانية ويت في السريانية وعليه ففعل المطاوعة مركب من الفعل المجرد وكلمة معناها النفس. اما وزن استفعل فقال انه مطاوع قياسي لوزن سفعل عند السريان ورجح ان السين منحتة من فعل ممت يدل على الوجود المطلق ومن بقاياه ليس ولات وهما مؤلفتان من لا النافية والفعل المذكور للدلالة على نفي الحال او الكون وعلى ذلك تكون استفعل مركبة من ثلاث كلمات وهي اس وات وفعل فتلاحت اجهأوها مع الايام فصارت استفعل ومن هذا القليل تعامله للضمائر فان لضمير المتكلم في العربية صورة واحدة وهو انا مفرداً ونحن جمعاً. وفي السريانية انا مفرداً وحسن جمعاً وفي العبرانية انا او انوخي مفرداً ونحن او نحن او انو جمعاً وواضح من ذلك ان لفظة نحن العربية مركبة من نا او انوخي العبرانية الحق آخرها بالنون للدلالة على الجمع

ثم يبين ان الضمائر المتصلة منحوطات من الضمائر المنفصلة فالتاء المضمومة من
انوخي والمفتوحة من انت والمكسورة من انت والواو من همون او همو والنون في
ضربن من هن ونا من نحن وهلم جرا

وكتاب الخواطر على صغره جمع اكثر المبادئ الاولية التي تمشت عليها اللغة في
نشوئها . وهو بحث مبتكر في العربية على ما اعلم . طرقت انا في السنة التي طرقت فيها
صديقي الاستاذ جبر كما يرى في الفصول التي انشأتها في المقتطف سنة ١٨٨٦ وموضوعها
نولد اللغات ونحوها ولم اكن اعلم ما هو فاعل ولا هو يعلم ما انا فاعل ولكني اطلقت
اكثر الكلام على اللغات كلها ولم اخص به العربية ولم اكن اعرف السريانية والعبرانية
حتى استعين بهما على تعليل ما وقع في العربية ولم ارب بعد ذلك بحثاً لاحد في هذا
الموضوع كان آية الحجاب سُدلت عليه . الا ان ما اثبتته صديقي الاستاذ ضومط في
كتابه الخواطر شبيه بما كشفته مندل في الوراثة فان مباحث هذا الراهب النمساوي
التي نشرها سنة ١٨٦٦ طرحت في زوايا المنسيات مع انه كشف بها اهم الحقائق
البيولوجية الى ان كشفت ثانية سنة ١٩٠٠ فهل يقوم من تلاميذ الاستاذ ضومط من
يعود الى هذا البحث ويكون متضلعا من العربية والعبرانية والسريانية ومن الحميرية
والحبشية والقبطية واليونانية واللاتينية والفارسية فيعيط اللثام عن تاريخ كل الكلمات
التي في معاجنا العربية . هذا ما ينتظر منكم يا تلاميذه ويا مريديه

قلت في بدء كلامي بعد المقدمة ان الاستاذ ضومط بحث في نشوء اللغة العربية
بحثاً مبتكراً ومهداً لعمل اعده من انفع الاعمال فما هو العمل الذي اعدّه بحث الاستاذ
ضومط مهدياً له

اذا كانت اللغة العربية قد نشأت كما تنشأ كل الاجسام الحية واعتورها التغير
والتبدل كما اثبت الاستاذ ضومط فلا يحتمل ان يمر الف واربعماية سنة تبقى فيها على
حالتها تماماً . والواقع انه عرض لها امران جوهران الاول انها تغيرت تغيراً كبيراً في
أسنة المتكلمين بها في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر وبلاد العرب نفسها حتى
لا يكاد ابن الشام يفهم حديث ابن تونس ولا يكاد ابن المغرب الاقصى يفهم كلام ابن
العراق . الا ان هذا التباين يكاد يكون محصوراً في الكلام وقلمنا تناول الكتابة
ونحن ان يزول اكثره بعد ما سهلت سبل الاتصال وانتشرت الجرائد والمجلات
والامر الثاني وهو المهم انه دخل العربية كثير من لغات الاقوام الذين صارت

العربية لغتهم او الذين نُقلت العلوم من لغاتهم الى العربية . ولقد كان الدخيل كثيراً في العربية قبل الاسلام لانه لا يحتمل ان يتصل العرب بسكان مصر والشام والعراق وفارس كما كانوا متصلين ولا يدخل العربية كثير من اللغات المصرية واليونانية والسريانية والعبرانية والفارسية ولو خفي على جامعي العربية اصل كثير من كلماتها فحسبوها كلها من صميم العربية . وهذا بحث كثير الشؤون لا محل له الآن . ثم زاد الدخيل بعد الفتح ونقل العلوم من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية ولولم يعلم جامعو كتب اللغة انه دخيل . هاكم قانون ابن سينا الذي الفه في بداية القرن الخامس بعد الهجرة فقد عددت في الصفحة الاولى من جزء الاقرباذين مائة اسم من اسماء النباتات وسائر المواد الطبية فوجدت الدخيل منها لا يقل عن سبعين اسماً وقد ذكرها ابن سينا كلها كأنها اسماء مألوفاً في ايامه

القرن الثالث والرابع والخامس والسادس كانت من القرون الحافلة بالعلم والعلماء كما كانت حافلة بالشعراء والادباء وكما كان العلماء من اطباء ورياضيين وفلكيين يرحبون بكل كلمة اجنبية تزيد غناء العربية غناءً كان الادباء والشعراء لا يستنكفون من استعمال المعرب وكلمة اجنبية تزيد غناء العربية غناءً كان الادباء والشعراء لا يستنكفون من استعمال المعرب ومنذ قام محمد علي عزيز مصر وعلم بعض ابنائها في اوربا وامر بترجمة الكتب العلمية الى العربية كما فعل الخليفة المأمون في عصره دخل العربية كثير من الكلمات العلمية ثم اتسع نطاق الترجمة حتى شمل كل انواع العلوم الرياضية والطبيعية والحقوقية والسياسية وصار على المترجمين والمؤلفين ان يحذوا حذو الفارابي وابن المقفع وابن سينا وابن رشد فييقوا الكلمات العلمية على وضعها وهي تعد بالالوف وعشرات الالوف ومات الالوف فتغنى العربية بها ويسهل على المتعلمين تناولها او ان يفتشوا عن مرادفها في العربية ويهملوا ما لا يجدون له مرادفاً وما تتعذر ترجمته . وقد ثبت من بحث الاستاذ ضومط في كتابه الخواطر ان العربية كانت في كل عصورها الماضية قبلما كتب حية نامية . ويظهر باقل بحث ان هذا النمو استمر الى الآن افيحسن بنا ان نقف الآن في سبيله موجسين شراً لثلاث يدك مقام العربية ؟ لا ياسادي واخواني العربية قائمة بتصاريفها وتراكيبها لا بالاسماء التي تدخلها فقد دخلها الوف من الكلمات السريانية والعبرانية والمصرية واليونانية ولم تردها الا غنى وستدخلها الوف اخرى ولا تريدنا الا غنى ولها اسوة بالفرنسوية والانكليزية والالمانية وكل اللغات المشهورة . والكلمات تتنازع البقاء مثل الاحياء ولا يمكث منها الا ما ينفع الناس فلا نكون عثرة في سبيله



الكولونل لورنس
المشهور في أوروبا بملك العرب غير المتوَّج
بمقتطف مايو ١٩٢٨
إمام الصفحة ٥٠٩

البادية العربية^(١)

ARABIA DESERTA

ما نجا حتى العلماء من تسخير الحكومات في أيام الحرب العظمى . فالحكومة وان جازت العالم على عمله كانت تسخر علمه لأغراضها السياسية والحربية . ومن العلوم المستخرجة في تلك الأيام المشرقيات . ومن المستخرين — مأجورين كانوا أو متطوعين — ثلاثة من الاوربيين المعروفين اليوم لان اقلامهم نمت عليهم . ثلاثة هم الكرنل لورنس ، وهو اكثرهم شهرة واقلمهم علماً ، ومؤلف هذا الكتاب ، وهو اكثرهم علماً واقلمهم شهرة ، والمستر فلي ثاني هذا وذاك في العلم وفي الشهرة

على انه لم يفز من الثلاثة فوزاً باهراً ، من الوجهة الحربية والسياسية ، غير واحد وهو لورنس . ولم يفز من الثلاثة ، من الوجهة العلمية ، غير واحد هو الاستاذ موزيل . اما من الوجهة الادبية الصافية فالثلاثة متساوون في العظمة والكرامة — الثلاثة من المسلمين في حلبة الادب

كتب لورنس كتاباً سجعاً بالبارود ، ورصّعه بالديناميت — كتاباً حريصاً كله طعن وضرب ونسف وتدمير . هو قصة عنبرة هذا الزمان ، عنبرة الانكليزي ، ولكنها خلو من الشعر . وكتب فلي رحلته في مجلدين فحاول في اسلوبه ان يقلد الرحالة الانكليزي الشهير هنري دو طي فخرج عن البساطة المحمودة ، ولم يدرك الصناعة المنشودة . والف الاستاذ موزيل كتباً ضخمة بأسلوب عادي ممل لا يستغوي من القراء غير من له غرض علمي او مصلحة سياسية او اقتصادية في البلاد العربية

رحل هذا المستشرق ، المعروف بين العرب « بالشيخ موسى » ، بضع رحلات في القسم الشمالي من شبه الجزيرة . فكانت الرحلة الاولى في البتراء واطراف الحجاز الشمالية في سنوات ١٨٩٦ — ١٩٠٢ ، والرحلة الثانية في الحماة والاراضي الواقعة

(١) هو عنوان الكتاب تأليف المستشرق التشكوسلوفيكي ألوز موزيل (Aloes Musil) استاذ الدروس الشرقية في جامعة تشارلس براغ . طبع باللغة الانكليزية في مطبعة الحكومة (Sta'ni tiska'an, Prague) للجمعية الجغرافية الاميركية بنيويورك (American Geographical Society New York) بعناية ومساعدة المجمع العلمي التشكوسلوفيكي والمستر كراين الاميريكي المشهور بحبه للعرب

بين الجوف جنوباً والمياذين على الفرات (١٩٠٨ — ١٩٠٩) والثالثة في تدمر وجوارها (١٩١٢) والرابعة (١٩١٤ — ١٩١٥) هي الرحلة السياسية من قبل الدول الوسطى في الحرب العظمى

اما مكتبته فقد كتبت اولاً باللغة الالمانية . ثم تعاون ، على ما يظهر ، المعهدان التشكوسلوفاكى والاميريكي ، اي المعهد العلمى ببراغ والجمعية الجغرافية بنيويورك (وكان المستر كراين اساس هذا التعاون) على طبعها باللغة الانكليزية . فظهر في السنة الماضية المجلد الاول منها في البتراء وشمالي الحجاز ، وهوذا بين يدينا المجلد الثاني في بادية العرب الشمالية ، وسيتبعها الثالث والرابع

يقسم هذا الكتاب ، المطبوع طبعاً جميلاً متقناً ، المزين بالرسوم ، المشفوع بمدة خارطات كبيرة ، الى ثلاثة اقسام ، وله ملحق طويل هو كتاب في نفسه اما الاقسام الثلاثة فالاولى واكبرها هو عمرة الرحلة الكبرى في الشمال . والثاني هو حكاية رحلة صغيرة في العراق من عين التمر الى قصر الأخيضر فالتجف . وفي القسم الثالث جزء من رحلته الاخيرة (١٩١٤ — ١٩١٥) التي رحلها من الشام الى الزبيبات (في قلب الحماة) ومنها الى الجوف فائل فالمشهد (التجف)

وفي الملحق نبذات تاريخية عدة ، منها نبذة طريفة عن عرب الشمال في عهد الاستيلاء الاشوري على سورية . ونبذة عن دومة الجندل (الجوف) قبل الاسلام وبعده . واخرى عن طريق القوافل القديمة والحديثة في القسم الشمالي من شبه الجزيرة والنبذة الثامنة (الاخيرة) في الطريق الذي سلكه خالد بن الوليد من العراق الى سورية بموجب روايات المؤرخين العرب كالطبري وابن عساكر وابن العبري والبلاذري وغيرهم ان في هذا الكتاب اذن بحراً من العلوم التي تهتم المستشرقين وتفيد المتأدبين من ابناء العرب . وقد برز لنا في ما يؤثر منه امران اولهما العذاب الذي يقاسيه المستعرب في طلب العلم ، وثانيهما التدقيق الذي يتحراه في تقديمه ثم في تسجيله للناس . وطريقة الاستاذ موزيل هي الطريقة العلمية الالمانية التي لا تخرج في مثل هذه الرحلات عن المحسوس ، ولما تسمح للنفس التي يروعها الجمال — جمال الشكل وجمال المعنى — ان تعاون الضمير الذي لا يهمه غير الحقيقة الحسائية

كانت دمشق باباً للرحلات الثلاث التي يحمل هذا الكتاب اخبارها ، فجاءها

الرحالة في اول عهد الدستور العثماني ، وجاءها عند ما اصبحت الدستور ساطوراً لضرب اعناق اعداء الاتحاديين (١٩١٢) ثم جاءها في نوفمبر ١٩١٤ وقد امست الدولة العثمانية سيفاً بيد الالمان . فكان في الرحلتين الاوليين عالماً ، وكان في الرحلة الثالثة سياسياً او مستخراً للدعاية الالمانية

ولكن عمله الدائم المحاسن والفوائد هو عمله العلمي الجغرافي ، والفضل الاكبر في تمهيد سبيله وحمايته في البادية يعود الى صديقه الصدوق الامير نوري الشعلان شيخ مشايخ الروك . على ان تلك الحماية لم تكن دائماً فعلية فعالة . ومن اين لها ان تكون كذلك واعداً النوري يومئذ كثير من في بادية الشمال وفي الجنوب . فلم يكن للروك من القبائل الموالية غير القليل كبعض الحويطات وولد علي والعمارات

رحل الاستاذ موزيل (الشيخ موسى) من الضمير في خريف ١٩٠٨ الى المياذين على الفرات ، ومنها نزل الى الحماد ، ومنها الى وادي سرحان فالجوف ، فالهوجا حيث كان الامير مخيماً . ومن الهوجا عاد شمالاً حتى وصل الى اللاهه^(١) قرب جبل عنزى (عنزى)^(٢) جنوباً بشرق منه — ثم عاد جنوباً الى سكاكة وقارة فاجتمع بنوري ثانية هناك ، ورافقه شمالاً ، فخرج على قصر الازرق وقصر الحلالات ، وعاد الى الشام بعد سبعة اشهر من ارتحاله منها

سبعة اشهر في البادية ، وفي ايام لم تكن البادية كما هي اليوم آمنة . لم يكن ابن سعود قد استولى عليها كلها . فلا عجب اذا كانت الاسفار محفوفة بالخطار . فقد كانت قافلة الاستاذ موزيل عرضة للصوص والغزاة ، ف وقعت في ايديهم مراراً ، ونجت منهم بفضل الكرام الشجعان من العرب ، وفي مقدمتهم الامير نوري وابنه نواف ، ورشيد بن سيمر من مشايخ ولد علي

ولم يكن الاستاذ موفقاً بخدامه وادلائه ، فسلبه احدهم ، وخانه الآخر ، وهجره الثالث . وكان الصالح منهم « يصلي ويغلي رأسه » فسرت الى الاستاذ « بركاته » ، والباذ بالله ! ثم أسر واهين في سكاكة ، ومرض ورفيقه الجغرافي بالحمل . هي المشقات في البادية بعضها ينسيك البعض الآخر ، ويلازمك بعضها ملازمة الظل . فيوماً تر تشفى

(١) لاهه (وقد جاءت في معجم البلدان الالاهه) كانت قديماً الحد الفاصل بين عرب الحيرة الذين كانوا يدينون للفرس وعرب الشام الذين كانوا يدينون للرومان
(٢) جبل عنزى هو اليوم اقصى نقطة الى الشمال في حدود المملكة النجدية

الماء من الموكلات في قعور الآبار ، ويوماً تكاد تهلك من الظأ . يوماً تأكل الضب والغراب ، ويوماً تسف برغلك مجبولاً بالتراب . تحرقك في النهار شمس الهاجرة ، وتألم في الليل من شدة البرد ، وانت لا تأذن ربعك بشب النار خوف ان يهتي اليك اللصوص

سبعة اشهر من هذه الاخطار والمشقات ، ثم عاد الشيخ موسى الى الشام ظافراً بما كان ينشده من العلم — والغنيمة الكبرى السلامة

وقد ألم هذا العالم بالعلوم التي تختص بما كن المياه التي نزلها والتي سمع بها ، ومن نزلها من الاقدمين ، وعن ينزلها اليوم من العربان ، وبالطرق اليها القديمة والحديثة — طرق الفاتحين من بلاد آشور وطرق القوافل من الشرق الى الغرب — مستشهداً بما اكتشف في بابل من الآثار الاشورية في اواخر القرن الماضي ، وباقوال العرب المؤرخين منهم والشعراء ، ومصححاً في بعض الاماكن اغلاط ياقوت الجغرافية واغلاط الطبري وغيره التاريخية

اما وصفه للبلاد — جبالها وتلولها واوديتها وشعبانها وآبارها وغدرانها وسبخاتها وخبراتها وبراكينها وآثار البراكين والضلوع المكونة من الحمم — فهو وصف علمي تام اي وصف جيولوجي جغرافي دقيق . الا انه لا يخلو في بعض الاماكن من الجمال الشعري ، كوصف الحماد عند الغروب (صفحة ٢٣) والخبرة (٢٦) وشجر الغضى في النفود (١٤٩) وقد قال ان نار الغضى تدوم تحت الرماد عشر ساعات لاغير واليك مثالا من وصفه العلمي . قال في القَرَت التي كتبها خطأ ، او كما يلفظها البدو ، بتسكين الراء ! : « القَرَت تل شكله كشكل المائدة ، ذو طبقات من مختلف التربة بعضها اشد من بعض . والطبقة العليا هي غالباً اشد من الطبقات الاخرى تحتها ، فتلين هذه للشتاء والرياح ، وتتفتت ، فيقع ما فوقها ، فيتكسر صخوراً وحجارة هي التي نراها مبعثرة في السهل حولها (اي حول القَرَت) »

ومن فوائد الكتاب لمن يروم درس القبائل ، او لمن لهم اشغال معها ، ما جاء فيه من تقويم واحصاء عرب الروله والعمارات والقدعان وولند علي فقد ذكر بطون كل قبيلة وافخاذها ، ومشايخها ومضاربها ، والاماكن التي تربع وتصف وتشتي فيها . واهم ما جاء في هذا الباب احصاؤه لعرب الصلبة الذين تضاربت فيهم آراء العلماء والمؤرخين تقسم الصلبة الى اقسام تدعى بال . كال ماجد في جوار الكويت ، وآل جميل

في القسم ، وآل بنّاق في جوار حائل ، وآل وذيق وآل راضي في الحماد الخ . عددهم كاملاً ثمانية عشر بطناً ، وعدد خيامهم كلها نحو ألف وخمسة خيمة . والصلبة تدفع « الحوة » للبدو المجاورين لها لقاء الحماية . ولكل قبيلة من قبائل العرب الكبيرة شيخ خاص بذلك — هو ضابط الارتباط بين تلك القبيلة والصلبة المقيمين في ديرتها او في جوارها كان هؤلاء العربان من غير العرب . وقد قالوا في ذلك اقوالاً هي كلها او جلها من باب التخمين . فقد يكونون من بقايا الصليبيين في هذه البلاد . او كما قيل للاستاذ موزيل وقيل لنا — وهو الأرجح — انهم دخلوا البلاد العربية من جهة الحسا . فقد يكونون لذلك من بقايا الصابئين

ومن محاسن هذا الكتاب ان اساء الاعلام والاماكن والآبار مضبوطة كلها بقدر ما يستطيع الاجنبي ضبطها . فيمكن القارئ العربي — اذا عرف القاعدة — ان يردها الى اصلها دون ان تلبس عليه السين والضاد مثلاً ، او الطاء والتاء ، او الدال والضاد على انه ، من وجهة انكليزية ، يُتَمَقَّد على المؤلف انه في الطبعة الانكليزية لم ينبع القاعدة المصطلح عليها في اكسفورد والجمعية الملكية الاسيوية ، والتي اصبحت شائعة بين المستشرقين والادباء الذين يكتبون في الموضوعات الشرقية . واكبر شواذه في هذا الباب انه عبر عن الياء بالـ *j* وهي في الانكليزية لا تؤدي معناها في الالمانية فالقارئ الاميريكي او الانكليزي الذي يقرأ *Dmejr to Al-Mijadin* لا يستطيع ان يلفظ الكلمة الاولى ، ويقول في الثانية المجادين لا الميادين . فكان ينبغي للمؤلف والمحرر ان يستعاضا عن هذا الحرف بالـ *Y* فيكتبان *Yamama* مثلاً لا *Jamama* او *Zabibiyat* لا *Zabibijjat*

ومما يزيد في تضخم الكتاب وتضجر القارئ تدقيق في بعض الامور التي لا تفيد احداً . مثال ذلك مما لا تخلو صفحة منه : « من الساعة ١١/٠٨ الى الساعة ١١/٢٢ استرحنا . وفي الساعة ٢/٤٥ بعد الظهر وصلنا الى شعب الغرّى شمالي آبار الشيشية » « رعت جمالنا من الساعة ٩/٥٦ الى الساعة ١١/٤٢ » وهل ينقص من الكتاب او من العلم شيء نافع اذا أهمل مثل هذا التدقيق في الاستراحة والرحيل ، وفي مرعى الاباعر ؟ . امين الريحاني

في الجزء التالي فصل آخر فيه بيان لما فعله موزيل لاستمالة العرب للدول المتوسطة وكيف فاز عليه لورنس في ذلك

نشيد الخلود

حدثنا الاستاذ الشيخ فؤاد الخطيب ناظم هذه القصيدة البليغة ان مما نها
وصورها تمثلت في ذهنه على اثر مطالعته لكتاب « بسائط علم الفلك »
الذي وضعه المرحوم الدكتور صروف باسطاً فيه عظمة الكون وروائه

نظر المشيبُ اليك قبل اوانِ فرزحتَ تحت غوائلِ الاشجانِ
ودَّعتَ يَوْمَكَ فاستطار بك الاسى جزعاً تَعْصُ عليه كلَّ بَنانِ
ونَفَضْتَ ثوبَكَ منه اشعثٌ مُحْنَقاً نَفَضَ الْعُقَابُ الطَّلَّ فوق رعانِ
كم نظرتَ لك ان عبت كائناً قَبَسْتُ تَهَافَّتَ عَنْ شِبَاةِ سَنانِ
فاهزاً بدهرك مقبلاً او مدبراً ان ضاق ذرعُ سواك بالكتمانِ

وَيَنحِ « الطبيعة » كيف تَمْزُجُ برَّها باللؤم تسخرُ منك كالمُجَّانِ
تتلقفُ الفضلاتِ ثم تدسُّها لك في الطعام شهية الالوانِ
من كل فاكهةٍ وناعم نبتةٍ هي في الرغام وليدة الادرانِ
تتحوّل الاوضار تحت صعيدها صُوراً من الثمرات في الافئدانِ
ومن الجنان قشبية أبرادها ومن الربيع مضمخ الاردانِ
ولو استتبَّ لك اكتناهُ خفيها لعجبتَ كيف تُسام كلَّ هوانِ
وشهدت بين يديك صنْعُ مُشْعَوذٍ لبقِ الدينِ وساحرِ فنانِ

تركتك اعزل بين مشتجر الاذى فتخطفتك طوارق الحدائنِ
ورمتك بالخلق المشتمر خلسةً من كل مطلع وكل مكانِ
مدفق وقد استسرَّ محجّباً يستلُّ منك سلامة الابدانِ

زِدْ المِياهَ وكلَّ سائلٍ قطرةً سيلٌ من الحشرات والحيوانِ
خَفِيتَ عليكِ ، ورفَّهتِ عنكَ الجوى فَنَأَيْتِ عن حَتَفٍ لَحَفٍ دانِ

ان ضَلَلْتُكَ وأوبقتُكِ فإنها طُبِعَتْ على التَّمويهِ والعدوانِ
ولشدَّ ما اختلفتِ عليكِ فاصبحتِ لكِ قدوةً في الحُتلِ والرَّوغانِ
فركبتِ رأسك تستفزُكِ نزوةً خبطتِ بكِ الظلماتِ غيرِ مُعانِ
وحملتِ اعباءَ السنينِ تَجشُّماً من اجلِ بعضِ اللهوِ بضعِ ثوانِ
أجرُ لعمري ايكِ الخس ما رأتِ عِنانِ ، او سمعتِ بهِ أذنانِ

فسلِ الحِياةَ الى مِ يصرعُ بعضها بعضاً فمِجنيْ عليهِ وجانِ
هي بينِ مأْكولٍ وآخرِ آكِلٍ متطاحنينِ فَناشيْ من فانِ

تَني وتهدمُ ما بنتُهُ مَولوداً تَبَدَّلُ البنيانِ بالبنيانِ
كالشاربِ الملتخِ بعدَ تَحْمُسٍ شَجَّ الكؤوسِ ، وِجَّ بنتِ الحانِ

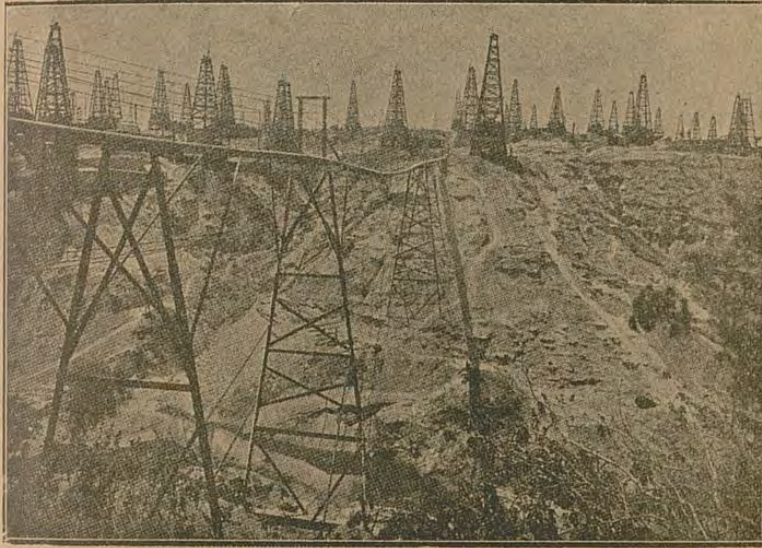
للهِ كم للجهلِ عندكِ من يدٍ ازرتِ بكلِ يدٍ من العرفانِ
عبرتِ بهِ الاوهامُ تألَّفَ عندها بَرْدُ اليقينِ ونعمةِ الرضوانِ
فالشَّهبُ تسبيحُ ، والنجومُ مطلةٌ سَهراً عليكِ وحولكِ القمرانِ
خلوقةٌ لكِ ، دونِ غيركِ ، — كلها صور اليكِ — وانتِ ذو السلطانِ
تلكِ السعادةُ في الحِياةِ وان تكن عبثُ الوليدِ وضحكةُ الازمانِ

ولقد وثبت من الخمول ولم تذق في العلم غير مرارة الخذلان
 فرأيت عالمك المشيد ذرة خلل المجرة في سديم دخان
 فنكصت احساً ما نكصت منزللاً من روعة الملكوت في الاكوان
 سُدُّمُ تهم ولا فضاء يحدها ترتج بين تصدع وكان
 تلد العوالم والشموس تفجراً — عدد الرمال — تفجر البركان
 من انت في الدنيا؟ ومن هي نفسها؟ فتقول نحن ! ومن هما الثقلان

الويت منخلع الفؤاد بنجوة والياس حولك ضارب بجران
 وغبرت تهلع من مصيرك في غد أن يستبد به الزوال الثاني
 تنقص منتثر الهباء ممزقاً بين العناصر طامس العنوان
 حمل الغواة عليك في نزغاتهم فضلت بين الحسن والوجدان
 اني كفرت بما يقول غويهم ورضيت بالتوحيد والايمان

الوحي اصدق والخلقة آية لله تنطق عنه بالبرهان
 ومن الخلود على الخلود ادلة للنفس تنسخ زخرف البهتان
 والارض دائرة : فهل ابصرتها كرهة؟ وهل أحسست بالدوران
 الحسن يكذب، والعقول كليلة، والروح أظهر، والوجود معاني
 فؤاد الخطيب





مناظر آبار النفط والاحواض التي يخزن فيها

مقطف مايو ١٩٢٨

النفط

PETROLEUM

لا يخفى ان السفن البخارية تجارية كانت او حربية صار الجديد منها يسير بالبترولا
لا بالفحم الحجري ، وكثير من القديم أبدلت آلاته حتى يستعمل فيها البترول
بدل الفحم الحجري . فاذا لم يكن لدى دولة من الدول منابع بترول كافية ودائمة
فلا تستطيع ان تناظر غيرها في التجارة البحرية ولا في الحروب . فالطائرات
والسيارات والغواصات عدا البوارج الضخمة تسير كلها به فهو من الزم اللوازم في
الحروب البرية والبحرية والجوية . وهذا منشأ ما للبتترول من المقام الكبير في مجامع
الدول . وقد انحفتا الزعيم الدكتور امين معلوف المعروف لدى قراء المقتطف
بمعجمه الطريف في « علم الحيوان » يبحث لغوي تاريخي في هذا الموضوع نرف
الى القراء الجانب الاول منه فيما يلي:

١ — تحقيق لغوي

النفط والقار والقيز والكفر والقفر وقفر اليهود والحُمَر والزِفَت والمومياء
والقَطَران مواد هيدروكربونية مؤلفة من الهيدروجين والكربون على نسب مختلفة.
والعلماء في ايامنا يطلقون القار وهو يتو من عند الرومان على جميع هذه المواد سواء
كانت جامدة كالْحُمَر او سائلة كالنفط او هوائية كالغاز الخلقى

فالنفط بكسر اوله واسكان ثانيه وقد يفتح اوله دُهن معدني ابيض او اسود
ضارب الى الخضرة سريع الاحتراق يسمى باللاتينية بتروليوم اي دُهن الحجر او
زيت الصخر . ولفظة النفط عربية سامية قديمة جداً اخذها اليونان عن العرب
وقالوا نفتا وهي معناها . ومما يدل على اصلها السامي انها بالسريانية والعبرانية مثل
العربية مع اختلاف قليل في اللفظ . ثم ان اليونان كانت اول معرفتهم بالنفط في العراق
وكان من البديهي ان يسموه نفطاً كما سماء العراقيون من سريان ويهود وعرب ولعله
سمي بذلك لخروجه من باطن الارض كما يتضح من مادة نفط ومشتقاتها في كتب اللغة
كذلك نفت ونبط ونبض ونبص ونبث ونبش واشياها فكلها تدل على الخروج او
الدفع ثم تفرع من ذلك معنى الاحتراق كقولنا تنفط الرجل غيظاً اي احترق

ومن اسماء النفط زيت الصخر وزيت الجبل ودُهن الحجر ودُهن الصخر
والدهن المعدني وقد ذكر اطباء العرب هذه الاسماء كلها . وفي مصر معدن منه في

جبل سماء العرب جبل الزيت ولا يزال يعرف بهذا الاسم الى يومنا وسماء الرومان منس بتروليوس اي جبل زيت الصخر او جبل الزيت كما قال العرب . ولبست لفظة بتروليوم قديمة عند الرومان ولم ترد في فصيح كلامهم قاله السر بقرتن ردود وكان عالماً جولوحياً خيراً في النفط وله مطول فيه اخذت عنه شيئاً كثيراً مما ورد في هذه المقالة (١)

والنفط كما تقدم لفظة عربية فصيحة وهي شائعة عند العراقيين يقولها خاصتهم وعامتهم ويريدون بها هذا الدهن او الزيت المسمى بالبترول او البتروليوم عند الافرنج وهم يسمون الخلق منه بالنفط الاسود اما الصافي المكرر المعروف في مصر والشام زيت الكاز فانهم يسمونه النفط فقط او النفط الابيض . على ان بعض كتبهم اخذوا يقولون البترول وزيت الكاز نقلاً عن الجرائد المصرية والشامية ولكنه نادر جداً . وحبذا لو شاعت لفظة النفط بين كتاب العربية في مصر والشام كما هي شائعة في العراق عوضاً عن البترول او زيت البترول فهذه معناها زيت زيت الصخر بتكرار لفظة الزيت فلنحتفظ بالنفط ولو بالاسم . ومن اسماء النفط التي ذكرها علماء العرب فطراً وبطراً الاون وكلاهما بمعنى زيت الصخر او دهن الصخر كما مر (انظر بطراون في ابن البيطار ومادة خلق في معجم دوزي)

والقار او القير هو ما سماه الرومان « بتومن » ومنه الاسم الفرنسي والانكليزي وهو اسفلتس عند اليونان ومنه اسفلت بالفرنسية والانكليزية واللفظة مأخوذة من الزيت العربية وهي بالسرانية والعبرانية كالعربية مع اختلاف قليل في اللفظ فصار زفتنا يونانياً وسمي اسفلتساً ثم تفرج ودعي اسبلاً قاله دوزي عن ابي الوليد ثم تدمشق وتمصر وصار اسفلتاً اما اهل العراق فقد ابقوا اسمه العربي الاخر وهو القير وهم يشتقون منه فعلاً ويقولون قير السفينة وقير الطريق وكله فصيح لا عجمة فيه . ولعل القير هذا والحجير اي الكلس اصلهما واحد في اللغة لان القاف والحيم يتبادلان في اللفظ فالعراقيون يلفظون القير كما يلفظ اهل القاهرة الحير واحياناً كما يلفظها اهل الصعيد ولفظون القير والقير اي صانع القير ومكان القير كما يلفظ اهل القاهرة الحيار والحيار . ثم ان القير والحير كلاهما ملاط وكان ملاط القدماء من اهل العراق

(1) A Treatise on Petroleum by Sir Boverton Redwood, Bart., D. Sc., F. R. S. E., etc., London 1926

القيز ولا يزال كذلك في بعض الاحيان ثم استعاضوا عنه بالجير ولكنهم لا يسمونه جيئراً كما في مصر بل نورة. والجير كالقيز اي بكسر الجيم وفتحها في محيط المحيط خطأ مطبعي والحُمَر هو القيز واللغة عربية سامية وهي حَمَر بالعبرانية باختلاف في الحركات وقيل لي انها تلفظ حَمَار وقد سُمِّي الحُمَر بذلك لاحتراقه لان مادة حَمَر بالعربية تدل على الحرارة او الاحتراق. او كما جاء في معجمة التوراة (١) لانه اسود ضارب الى الحمرة على اني ارجح ما ذكرته كما سيأتي في حَمارة ينار طاش. والجر معروف في جبل الشيخ وغيره من انحاء الشام باسمه هذا والعامه في الشام تشدد الميم

والكفر والقفر وقفر اليهود وقفر اليهودية والقفر البابلي هو الجر وقد ذكر الغويون الكفر بهذا المعنى ولكنهم لم يذكروا القفر فيما اعلم وانما ذكرها الاطباء وضبطها لكلام بالفتح ولم يضبطها دوزي واظنها بالضم كالكفر وهي كفر (Kopher) بالعبرانية وتكتب بالكاف لا بالقاف. ولعل اطباء العرب اتقوا من كتابتها بالكاف لكي لا يقال كفر اليهود فقالوا قفر اليهود. وعلى كل فاللفظة سامية وهي كما جاء في معجمة التوراة كُفِّر بالعبرانية وكُفِّر او كُفِّر بالاشورية. أما قفر اليهود وقفر اليهودية فهو الجر الذي يخرج من القور اي غور اريحا والقفر البابلي القيرو الذي يخرج من هيت على الفرات وكان البابليون يقيمون ابنتهم وقفافهم به كما يفعل العراقيون الآن ولم اسمع الكفر او القفر من العامة في العراق والشام وربما كان معروفاً بهذا الاسم في فلسطين على اني لم اسمعه. وكفري بلدة في العراق وكفريه قرية بالشام وكلاهما نسبة الى الكفر وهو معروف فيهما

والزفت ضربان معدني وصناعي فالمعدني هو الجر او القيرو والصناعي هو ما يبقى من تقطير القطران سواء كان قطران الفحم او قطران الخشب. واللفظة عربية سامية كما مر في الكلام على القار

والمومياة وتسمى القطران المعدني ضرب من القار وهي مادة سوداء لزجة بين النفط والحُمَر كان المصريون يحنطون موتاهم بها وقد وجدها العرب في القبور وفي كهوف بلاد فارس واليمن فسموها المومياة نقلاً عن المصريين فان الموم بالقبطية معناه الحُمَر والمومياة الحجة المخطئة قاله السرخس بفرقتن ردود وقيل انها من موم بالفارسية

ومعناه الشمع فسماها العرب مومياء لمشايتها اياه في قوامه . ولا ادري اي القولين اصح ولكنها ليست يونانية كما جاء في بعض كتب اللغة ولعل احد العارفين باللغة القبطية يجلو هذه المسألة . ولم يخف على ابن اليطار وغيره من علماء العرب ان المومياء هي الحجر او القار . ومن اسمائها باليونانية بسسفلتس اي زفت الحجر وباللاتينية لمثة من لمثة باليونانية اي الملاط وربما كانت سامية الاصل لان ملاط القدماء كما مر كان قيراً ومنه المقير اي اور الكلدانيين على مقربة من الناصرية

ومن المومياء نوع يصنع منه شمع يستضاء به واسمه عند الافرنج اوز وقریط ومعناه الشمع المنتن ولعل اصلح اسم له بالعربية القير المنتن او المومياء المنتنة . ولا يخفى ان قيرس باليونانية وهو الشمع كالقير بالعربية وهو الحجر والقطران وفيه لغات سيال يستخرج من الشربين والارز والتشوب ومنه قدريا

باليونانية وهو بمعناه وقدرس وهو الشربين والارز ومنه ارز لبنان بالانكليزية والفرنسية وكله من مادة قطر بالعربية او من اصل سامي آخر شبيه به كما يستدل من معاني هذه المادة وما اشتق منها كالقطران فقد سمي بذلك لانه يقطر او يسيل من هذه الاشجار . والقطران اصناف منه قطران الحشب وهو الذي تقدم ذكره وقطران الفحم وهو يستخرج من الفحم الحجري والقطران المعدني وهو المومياء كما ذكر آتياً وهذه المواد كلها متشابهة التركيب متفاوتة القوام لا يعرف متى ينتهي الواحد منها ولا متى يبتدىء الاخر على ان الغالب فيها ان النفط يخرج سائلاً ويبقى كذلك والقار يخرج مائعاً ثم يجمد والحجر يكون في جوف الارض جامداً والمومياء بين بين . وقد اطلق علماء الجولوجية لفظة القار على هذه المواد كلها سواء كانت جامدة او مائعة او هوائية فيمكن ترجمتها وتعريفها كما يأتي لكي تنطبق على العلم الحديث

معجم موجز

القار والقير (Bitumen) الحُمُر او الزفت المعدني . وعند العلماء معدن سريع الاشتعال يشمل النفط والحجر والغازات الخلقية وكلها مواد هيدروكربونية مؤلفة من الهيدروجين والكربون على نسب مختلفة

(١) الحُمُر والكفر والقفر والقير (Asphalt) ضرب من القار الاسود وهو صلب قصم لماع فاذا اُحمي لان وتلّج . منه صنف في هيت من اعمال العراق يعرف بالقفر البابلي وصنف في غور اريحا يعرف بقفر اليهود (Jew's Pitch) وقفر

اليهودية (Bitumen of Judea) وصنف في جبل الشيخ قرب حاصبيا يعرف بالحر
وقد ذكر اطباء العرب جميع هذه الاسماء

(٢) قير او زفت (To Bituminize or Asphalt) اي طلى بالقير او الزفت

(٣) المومياء (Mumia) (١) ضرب من القار لين لزج بين النفط والحر كان
المصريون يحنطون موتاهم به (ب) والمومياء الجثة المحنطة

(٤) (Maltha) الملاط (١) ما يملط به كالقير والجص والكلس (ب) المومياء

وهي ضرب من القار

(٥) الزفت (Pitch) مادة هيدروكربونية سوداء صلبة تحترق وهو نوعان

معدني (Mineral Pitch) وهو الحر او قفر اليهود (Jew's pitch) وصناعي وهو
ما يبق من تقطير القطران

(٦) زفت (To pitch) اي طلى بالزفت

(٧) القطران (Tar) سيال اسود يحترق وهو اصناف صنف يستخرج من

شجر التنوب ونحوه ويقال له قطران الخشب وصنف يستخرج من الفحم الحجري
يقال له قطران الفحم وصنف يكون معدناً في جوف الارض يقال له القطران المعدني
او المومياء وهو اشد قواماً من الصنفين الآخرين

(٨) قطر وقطران (To tar) اي طلى بالقطران

(٩) المومياء المنتنة (Ozocerite) ويقال لها القير المنتن والقير الابيض ضرب

من المومياء يصنع منه شمع يستضاء به والافرنج يسمونها اوزوقريط ومعناها الشمع المنتن

(١٠) النفط (١) (Petroleum) دهن معدني ابيض او اسود ضارب الى

الخضرة سريع الاحتراق ومن اسمائه دهن الحجر وزيت الصخر (ب) والنفط

(Naphtha) سائل طيار سريع الالتهاب يستخرج من النفط الاسود والاصح تسميته

بالنفثة متى كان بهذا المعنى

(١١) الغاز الخسلي (Natural Gas) غاز يخرج من جوف الارض سريع

الالتهاب جداً وقد يلهب من ذاته متى مس الهواء كما في باكو وكر كوك وازالية

والمواد التي تستخرج من النفط والقطران كثيرة جداً لا اسماء لها بالعربية

والاصح وضع الفاظ لبعضها وترجمة البعض الاخر او تعريبه اذا تعذرت ترجمته

امين معلوف

بغداد

هيدا

« قلب المرأة تيه » (١)

(بلزك) (٢)

ما طلع الفجر ثلاث مضيّن من شهر شيت (ابريل) حتى ضجّت مدينة
 سنجباد من أعمال الهند . وكان اهلها قد برحوا مساكنهم جماعات واخذوا في الطرق
 حيّة وزها بأكثها ألمّ بالمدينة امر يعلم الله خطره . وكان الرجال قد خلعوا مبادئهم
 وارتدوا صيبتهم وكان كلهم يشير في سكون او يتحدث في صياح . وكان النسوة قد
 تجلبن على غير عادتهن وتأوّدن في مشيتهن وغلماهن في إثرهن ثم جاس بعضهن
 الى بعض في الطرق واندفعن في الحديث معاً في صوت كأنه هديل الحمام تارة وقوقاة
 الدجاج اخرى . وأما غلمانهن فكان بعضهم يعشون بشيخ ضريف من نازع عمامته وقاذف
 بها في الفضاء ومن ناتف شاربه ومن لاه بلحيته ومن هامس في اذنه : ما أبصرنا
 ومن صارخ في وجهه : ما أقدرك ! وكان لمخ غيرهم عجوزاً متسولة قطعاء تتلو سورة
 من سور كتاب براهما فما لبثوا أن طاروا اليها واجتذبوها من أطارها وشغلوها عن
 السؤال بغليظ مداعبتهم وكانك بالصبيّة إن يصبروا عاهة ينكروها فيتأمزوا
 عليها ويتخذوها هزوءاً وعزير عليك أن تبسط لهم أن في الحياة غير ما تعهده حداتهم
 وكان اهل المدينة متفرقين كل وطبقته . فكان جماعة الخاصة راكبين في موالهم
 وناظرين الى من دونهم في كبر وأنفة وعلى جباههم سيمات الترف والعجرفة وفي
 ثيابا قسماها نزعاً الى الشهوة والقسوة شأن عيوت القوم في جميع الامصار حتى
 نشوء مبدأ المساواة وما وراءه من مذاهب اشتراكية . وكان اهل الطبقة الثانية بين
 تجار وصناع رجالاً مع سعة حالهم . واما اهل الطبقة الثالثة فكانوا ينظرون وقوفاً الى
 جماعات الطبقتين بمؤخر عيونهم نظرة الدليل حيناً والمبغض حيناً آخر . والسبب في
 ذلك أن الناس كانوا يسترقونهم بعدونهم انجاساً فيفرون منهم ويتشامون بهم . وكان

(١) Le cœur d'une femme est un labyrinthe (٢) كبير كتاب فرنسا

اولئك القوم الانجاس من عمال ومزارعين وعبيد مستكينين للناس مع حقدهم عليهم وتوعدهم لهم

ثم ان اهل القرى كانوا قد حضروا المدينة عراة الاجسام الا سواتها وكان معظمهم يقودون فيلة او يسوقون بقرأ وكان غيرهم حاملين جلود النمر والاسود أو متأطنين بعض الطيور الدواجن عليهم يستبدلونها بما هو انفع لهم. وكانت تلوح على وجوههم علامات التعجب مما حو لهم ودلائل الحذر من المدينة لعلهم ان لها اسراراً بعيدة عن اذهانهم

وبينا الناس كذلك والطرق غاصة بهم والفضاء مريح بصيحات الرجال وجلبة النساء وغلغلهن وأصوات الحيوانات على اختلاف انواعها اذا كوكبة من الفرسان يمهلون عند مفرق كل طريق فيخرج من بينهم مناد غليظ العنق ينفخ في بوق له عظيم أن اصيل اليوم موعد الحكم على شطرها «المهرجاه». وكان هذا الخبر مستطيراً في المدينة وفي القرى من قبل ان يعلنه المنادون ويهتفوا به

واي الرجال كان شطرها هذا وقد ضجّت مدينة سنجباد من أجله منذ مطلع الفجر وقام اهلها وقعدوا على الشكل الذي رأيت ؟ كان شطرها ابن رجل صالح متصوّف وكان جميل الوجه وضع الحسّ كمال العقل مجتهداً في الادب طيباً بارعاً في صناعته. وكان قد أقبل على خدمة ملك سنجباد من صغر سنّه. وكان الملك يقال له جيلباغ وكان من أحفاد دبشايم الملك بطل كتاب «كليّة ودمنة». وكان جيلباغ قد خبر شطرها فأنس منه أمانة وصدقاً فارتضاه واصطنعه وما زال يتعهد برعايته حتى جعله عمده وثقتة

على أنه اتفق ان خرج جيلباغ في طلب الصيد ذات يوم راكباً فعثر به جواده فسقط لوجهه ميتاً. خلفته ابنته وكان يقال لها هيدا فخرست على شطرها وولكت اليه سياسة سلطانها. إلا أن الرجل ما شئخ بأنفه قط مع جلالة شأنه فما عسى ان يكون الذنب الذي جرّه ؟ أأفسد هو في الارض ام عبث بالرعية ؟ هل انشق عن دينه ام استخف بالبراهمة ووضع من مكائهم ؟ أعصى امر ملكته ام راود إحدى جلساتها عن نفسها ؟ أغدر وطنه ام ولّس ظهره العدو ساعة القتال ؟ كلا ولكنهما شطرها كان خبيراً حاكماً بالعدل بين الناس ساهراً على امر الرعية ورعاً مطرّقاً لبراهمة مطمئناً الى تعاليمهم وكان أوجه الناس عند ملكته واكرمهم عليها وانزلهم عند

حكما وكان قاصر الطرف عن جلساتها اجلالاً لها ثم انه كان فارساً شديداً بالبأس غيوراً على وطنه فما عسى ان يكون إذا الذنب الذي جرّه ؟ ؟

كانت هيدا تحب شطرها ان الحب الجرم . غير انها كانت قبيحة منخرطة الجسم مع عرض عند الكتفين . وكانت خبيثة الطوية عسرة الطبع قد زاد في سوء خلقها دمامة هيئتها . وكانت تغالي أيتها مغالاة في حالي الحب والبغض . على انها كاشفت شطرها ان بأمر حبها فما عبأ به . والويل كل الويل لرجل يهاون بامرأة تهب له قلبها ونفسها شغفاً به

الا ان هيدا عازمت على استهواء وزيرها وكانت من اولئك النساء اللاتي لا يتحوّلن عن أمر يتلمسنه حتى يظفرن به مهما بعد ذلك الامر من همهن ولكنهما الملكة لم تبلغ ما كان في نفسها فبدا لها ان تستعين على وزيرها بمن أوتوا علم السحر فأفندت الى أطولهم باعاً ان هيئوا له شرباً وأسقوه إياه ولا تألوا جهداً في التوصل بأسباب الرقية في معالجة أمره حتى ينقاد لي . ففعل السحرة ولم يزل شطرها على نفوره من الملكة وإعراضه عنها . فقام في نفس هيدا ان وراء الامر سرّاً مكتوماً فأمرت وصيفة لها بالتنقيب عنه

وكان يقال لهذه الوصيفة سراكا وكانت من قبيلة توراهي من أخبت قبائل الهنود عنصراً . وكانت سراكا كريمة البرة عرجاء وطبيعي أن تتخذ المرأة القبيحة وصيفة أشد منها قبحاً . وكانت سراكا امرأة سوء ودهاء . ولكنها كانت مخلصمة لملكها فجدت في الفحص عن دخلة الوزير حتى اتصل بها انه شديد الكلف بابنة رأس البراهمة . وكانت فتاة ذات جمال وعفاف ولين جانب

وما عتمت سراكا ان رفعت ذات صباح الخبر الى مولاتها ففضبت له هيدا وامتلأت غيظاً ثم خلت الى وصيفتها . فتشاورتا في الامر حتى أجمعتا على ان يرادوا المهرجاء أو يستسلم

وعند الاصيل انطلقت سراكا الى شطرها لتكر به وتدفعه عن حب ابنة رأس البراهمة الى حب الملكة . فلما اتته أخذت في ذرو الحديث حتى تظاهرت له بالاهتمام بأمره ثم همست اليه : قد شاع خبرك فاشتهرت حبيبك في النساء فأقسم أبوها على أن

ينتقم لها منك . فضحك شطرها نضحكة المستخف بالخبر لعله ان رأس البراهمة لن يمنعه أبلته إن هو خطبها إليه . فأنصرفت سراكا عن هذا الباب وطرقت باباً آخر فلانت للوزير في كلامها وهي تستغويه بالمال وتعدده بالعرش رجاء أن يحقق أماني مولاتها . ولكن شطرها ما برح مصرّاً على الالباء مع ثقته بأن أمر حياته طوع يد الملكة وأنه إن عصاها ولجّ في عصيانها لا شك منتهى الى سوء العاقبة . ولكنها كانت له طبيعة تطلب الحب المتبادل وتغيبط به ونفس روحانية ترغب عن الماديّات وكان لتصوّف أبيه أثر عظيم في كيان روحه

على أن سراكا لما رآته متمنعاً كل هذا التمتع ورأت حيلها قد نفذت عدلت عن الوعد والتأمين الى الوعيد والارهاب فطفقت تنذر به باسم الملكة بألوان العذاب وتوعده بصنوف التهلكة فقال لها شطرها ن: ويلك كيف للملكة ان تقضي فيّ ما توعدينني به؟ قالت: أتعجز الملكة عنك؟ ثم انصرفت بارقة راعدة

أما شطرها ن فماد الى نفسه وجعل يفكر في الامر كيف انقلب عليه فلم ير منه مخرجاً سوى استعطافه الملكة لعلها ترضى له فقصد اليها واستأذن عليها فأذنت له فسجد بين يديها وقال لها : إن مولاتي أيدها براهما اختصتني بنعمة لم أكن ورأس أبيها حقيقاً بها . ففطنت هيدا انه جاءها مستعطفاً خشيت ألا تقدر على رده لشدة كلفها به فقطعت عليه الكلام وقالت له في لهجة عنيفة تظاهراً بالقسوة والحنق : إن وصيفي بلغتك الامر فان راقك فاجلس اليّ وإلا فصيرك السجن . قال شطرها ن مغضباً : لك الحكم المطلق على العبيد دون غيرهم فخذت عليه مقالته وصرفته ساخطة وهي لم تكن لتعلم أن الحب لا يستكره ولا يجزع كما تجزع العقاقير وانه غير منقاد للقوة والبأس . فوهمت أن في استطاعتها ان تأمر به كأنها تتقدم الى قائد جيوشها بغزو بلد من البلاد أو وصيفة من ورائها بتهينة حمّامها . على انه فاتها انها لو خلت الرجل وشأنه لربما مال اليها مخناراً . غير أن طبعها الجبار ووصيفتها الداهية وروح عصرها الطاغى حملنها على اتباع هذه الخطة العرجاء

ثم ان الملكة ما لبثت ان دفعت الى قاضي المدينة شطرها ن متجنيةً عليه انه غدر بها وحاول خلعها . فأمر القاضي بسجنه من دون ان يحقق ما اتهم به لآب الملكة أرادت أن يسجن وهل تنازع ارادة الملوك ؟ فقضى شطرها ن تسعة أيام في السجن وهو بقلب رأيه أيستسلم للملكة أم يثبت على حبه . وكانت الملكة ترسل اليه سراكا كل يوم

لتفقد شؤونه وكانت من فرط حبها تأتيه مستخفية وتُنظر إليه من كوة السجن مستبكيةً مع جفاء طبعها . ثم إنها انقضت إليه في مساء اليوم التاسع فلما مثل بين يديها جعلت تبصره عاقبة عناده وتحلف أنها لا تريد له إلا الخير وكان الذي دفعها إلى مثل هذا التواضع أنها شعرت بأن وزيرها اخذ يعضها فراعها الأمر لأنها كانت راضيةً باعراضه وأما على احتمال بفضه فلم تكن قادرة . فسعت سعيها في استمالته ثانيةً وإن صغرت نفسها إليه . فإن المرأة العاشق قلما تعدل عمّا فيه جذب عشيقها أو ارضاءه أو الاحتفاظ به مهما كلفها ذلك

الآن شطرها ن ابني الالباء كله لا من أجل حبه فقط بل لأنه كان حاملاً على الملكة اذلالها له لأتفه وحقد كانا متأصلين في طبيعته الهندية . ولما لم تبلغ هيدا ما أرادت من شطرها ن ردت إلى السجن يائسة بعد ما طوت حبها بين جوانحها طيباً لا يقوى على مثله إلا النفوس الغليظة الحاقدة . ثم أنها عزمّت فجأة ان تجري الحكم على وزيرها في أصيل اليوم التالي فذاع الخبر في أنحاء المدينة والقرى على ما مرّ بك في مستهل القصة

انعقد المجلس المتدب للحكم على شطرها ن في اليوم المضروب في قصر تعاقبت السنون عليه فزدن في روعته وجلاله . وكان زين ظاهر القصر أحجار يعلوها صور ورسوم بارزات في ألوان شتى بين مؤتلفة ومتنافرة . وكان داخل القصر قاعة فسيحة الأرجاء في جنباتها عمد خشب منصوبة يشد بعضها إلى بعض عمد خشب أفقية . وكان قد نقش على تلك العمد تماثيل وهيئات ومناظر تدل على دقة في البحث عن مشاهد الطبيعة ومظاهر الحياة مع افراط في الخيال وعناية بتصوير الأمر التافه . وكان في تلك القاعة عدة منافذ وكان عند كل منفذ باب ضخم يكسوه من أعلاه إلى أسفله رموز دينية وآي براهمانية وصور حيوانات حقيقية ووهمية . وكان في جوانب القاعة محاريب تضم بين زاويتيها دُمى وكان بعض تلك الدُمى يشف عن الفن اليوناني والبعض الآخر عن الذوق ^(١) الفارسي . وذلك أن كثيراً ما أتت القوافل الهند بصناع بلاد اليونان وفارس

وكان في صدر القاعة تمثال عظيم لبراهما له رأسان وأربع أيدي وثمان أقدام وكانما

(١) الغالب في ظني أنه لم يأت الذوق بهذا المعنى عند العرب ولكن عصرنا أتى به وكفى

اراد ماثلُهُ ان يجعل لالوهيته علامات شاذة عن علامات البشر فأمسك عن الصدق في التصوير وركب رأسه في الخيال حتى غلا فيه

وكان الحكماء قد جالسوا تحت هذا التمثال العظيم جلوس القاضي في عهدنا وفوق رأسه آية شريفة او صليب مقدس. وكان رئيس المجلس رجلاً كهلاً رُبْعَةً أدهم عظيم الانف والأذنين. وكان كبير منجمي المدينة ومن أذهب الناس بنفسه على كل احد ومن أسرعهم الى الشر. وكان متوعداً لشرهان حاسداً عليه رفعة منزلته في القصر ولطف مكانته في قلب الملكة

وكانت الملكة قد استوت على عرش مرتفع المسند منخفض المقعد مذهّب الاطراف مكسو بالقطيفة والسندس. وكان شرهان مستنداً الى عمود من العمد المنتصبة ومن حوله جماعة من الحرّس

وكان الناس يدخلون القصر تبعاً. فلما استقرت بهم القاعة أومأت هيدا الى رئيس المجلس أن قف وتكلم. فنهض الرجل وهتف باسم الملكة استفتاحاً ثم نادى بأعلى صوته: « ايها الجمع ان الملكة مكن براهما سلطانها قد ركنت الى شرهان المهرجاء منذ اليوم الذي علّت فيه العرش. على انها رفعت الى الوزارة وجلّت شأنه وجلّت له الخير ما استطاعت. ثم انه صبح اليوم عندها أن شرهان اضاع ذمتها وحرّض الشعب عليها طمعاً في الملك... ذلك ما صبح عند الملكة دام عزاها واتم تعلمون أن ما يصح عند الملكة يصح عندنا لانها مولاتنا ولانها معصومة من الخطأ والخطل. والآن فليجادل المهرجاء إن شاء عن نفسه والرأي اليه ان يفحص عن جرمه ويقرّ به ويتوب منه مع العلم ان امره مقضي فيه مما صنع اللهم إن لم تعف الملكة عنه »

فلما فرغ رئيس المجلس من كلامه وقف شرهان كاسف الوجه منقبض الصدر وأدار على الحضور عينين ينبعث منهما روح التمرد على العالم والاستهانة بأهله ولاسيما بمن يملكون فيه ثم ما عثم ان نادى والحق ملّ شديقه: « ايها الحكماء امثلي يحاول ان يجمع الملكة جعلت فداها وقد ولدت بباب قصرها وشيبت في ظله وعظمت بين اركانها؟ أعلى يدي يدبر الشعب مكيدته؟ أمثلي يصل جبل عصيانه؟ لعمري لو فعل لضربت اعناق أفراده كبيرهم وصغيرهم. ولقد رُميت بجرمة لا يسعني في ديني أن آتيها ولا يخلق بي في همي. فاتقوا ربكم في أمري ايها الحكماء إن كنتم من الاخيار فكلكم عالم أني رفعت يدي عن المكروه وصنت نفسي عن المنكر »

... جلس شطرها من بعد ما دافع عن نفسه هذا الدفاع دفاع المحذول الضعيف الحجة. وكان الاولى به ان يذكر الامر على حقيقته ويتصل مما اتهم به مجترأ على الملكة ولكنه لو فعل لدُقَّتْ عنقه لفوره لان المرأة على الملوك عقابها القتل العاجل. ثم شق على شطرها ان يصارح الحضور الامر اجلالاً لذكرى الملك جيلباغ صاحب المنة عليه ولعظيم أمله في الملكة إذ كان يعلم أنها تحبه الحب الشديد فكيف لها أن تأمر بقتله راضية

ولما جلس شطرها من الحضور سكوت طويل تشاور في أثنائه أعضاء المجلس. ثم نهض الرئيس ونادى « أيها الجمع لقد سمعتم مقالة المهرجاه وهي على ما رأيتم واهية السند وانحطة البطلان. على أنه حاول ان يخرج من عهدته ما أخذ عليه مكبراً فلم يقدر. هذا وقد حكم عليه المجلس بعد اعمال الرأى أن يُبقي في مقصورة الافاعي والملكة عز سلطانها أن تبقى عليه او توافق على هذا الحكم عملاً بسنة احكامنا العادلة »

فحوّل الحضور انظارهم فيما بين الملكة وبين شطرها من بعد ما جلس الرئيس لعلهم يقدرون ما هو واقع. ثم ان الملكة وقفت واجالت طرفها في جنبات القاعة وتهايات للفصل في حياة حبيبها أو هلاكه

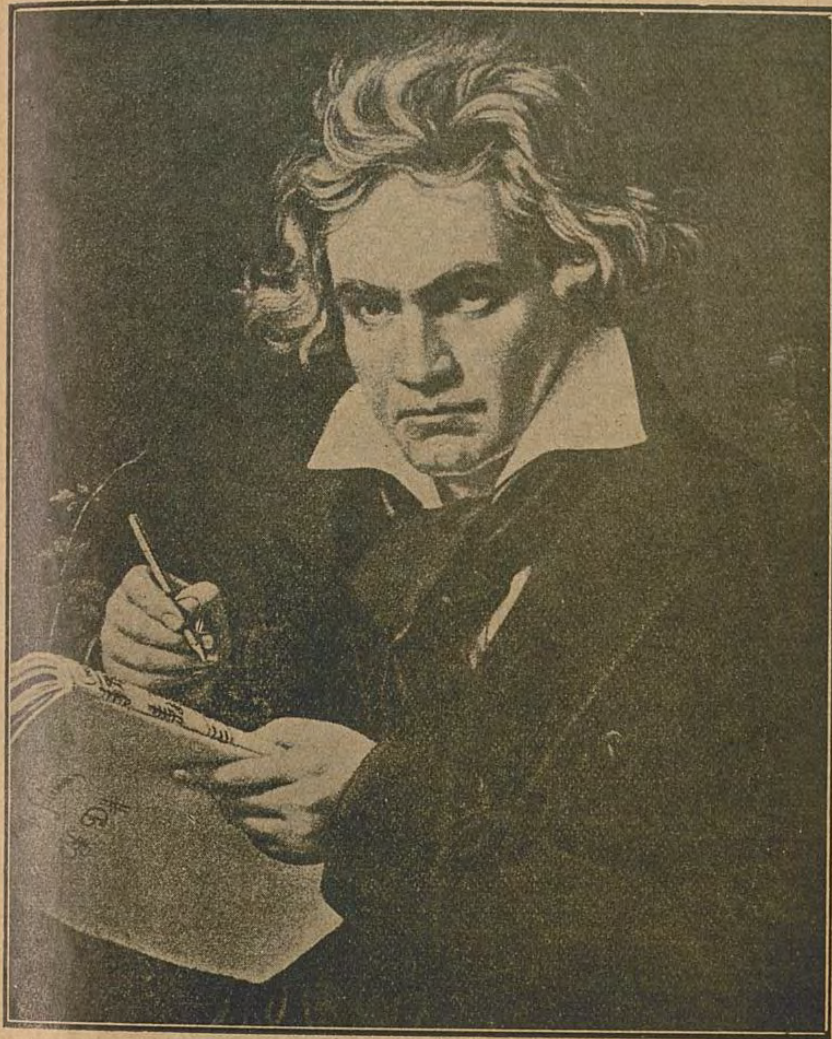
من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة به هيدا وقد تضاعف بين جنبها ذلك الحب الذي رغبت في طيه فلان لها لساعته كي ينتشر في اليوم التالي قوياً ممتعاً؟ ... من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة به هيدا وأي الطبعيتين ظاهرة على الاخرى؟ طبيعة الملكة المجبولة على البطش والعنف أم طبيعة الفتاة العاشق الدافعة الى اللين والرفق. وأي النفسيتين تتغلب؟ أترى النفسية الهندية المفطورة على الضغن المغرمة بالانتقام أم نفسية المرأة بالأجمال وهي النفسية المملوءة رقة؟ ... من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة به هيدا؟ فإن خطر لها ان تعفو عن وزيرها تمثل أمامها بنت رأس البراهمة وهي تسرع الى شطرها وتقبل جفنيه وتأخذ برأسه بين نهديها برّاقة العينين خفاقة القلب ثم تنطلق به الى المعبد. فاي شقاء يعدل شقاء هيدا وأي حسد يعدل حسدها وهي تبصر موكب الكهنة وتسمع أناشيد الصلاة وأغاني العرس وتستروح شذا الازهار المكشلة رؤوس الحيين ... هذا وان عرض لها ان تحكم بالقتل على شطرها هالها

هذا النداء نبّه في نفوس الحضور تلك الشهوة الخبيثة التي تحمل الانسان على الارتياح
 لرؤية الدم المسفوك وهي شهوة كامنة في الغالب بين ضلوع الشعب الهمج . فنسي الحضور
 اليد التي اتخذها شطرها ان عندهم ايام وزارته ونسوا رعايته اياهم ولم يلتفتوا إلا الى
 ذلك المنظر الرائع منظر الافاعي وهنّ ينهشن رجلا اعزل . فسروا بما بدا لهم من
 هذا المنظر وتمنوا لو يرونه رأي العين ولم يبطئوا ان انتقلوا بلا تروء من الامنية الى
 الرغبة ولكنهم لم يجسروا على الاجهار بها . فأدرك الرئيس حالهم وابقن انه لا بد
 لها من محرك كما انه لا بد اليوم من محرك للدراجة او السيارة حتى تدفعا فنادى فيهم :
 « اهلك شطرها ان اجيبوا » فشجع الحضور هذا النداء فتساعدوا على الاجهار برغبتهم
 اللثيمة واندفعوا في حماسة حتى علت لهم تممة اخذت في الوضوح الى ان انتهت في كلمة
 واحدة : الهلاك

الأ انه لو خلا كل من الحضور بنفسه ما حكم على شطرها . ولكننا الافراد
 ان اجتمعوا لغرض من الاغراض يفقد كلهم نفسيته مع معظم هيئاتها إذ تسرب
 الى من حوله ثم تعود اليه مشوبة بحسمة لان كل فرد تناول منها ما تناول وخلف
 فيها من نفسيته ما خلف وتلك النفسية هي نفسية الجمع وللجمع روحه ونزعاته وعاداته
 ثم له وجدان منزله من وجدان الفرد منزلة الرأي العام من الرأي الخاص . ثم ان
 نفسية الجمع تمتاز بالاضطراب وتردد الرأي وبالحماسة مع اندفاع وتهور وبالسعة في
 الانتقال من الفكرة الى العمل بلا تروء ولا تقدير المسئولية قدرها

هذا ما يفسر لنا كيف حكم الحضور على شطرها . ثم انه لما نادوا بالهلاك أشار
 الرئيس الى الجند أن انطلقوا بالمهرجاء ففعلوا والحضور ينظرون اليهم متعجبين بل
 آسفين كأنهم بنجوة مما حدث او كأنهم يقولون في نفوسهم كيف حكمنا على مثل هذا
 الرجل ونحن نجهل حقيقة ذنبه . غير ان بعض النسوة يكنّ شباب شطرها ان وجمال وجهه

... من لي بمن ينبئني اي حكم ناطقة به هيدا لو لم يمسه طائف من الجنون وقلب
 المرأة مضطرب النزعات متلوتها ، غريب الاطوار عجيبها ، بل كتاب مطوي لم ينشره
 أحد بعد ، وتيه ان تلمس بعضنا السبيل بين جوانبه ضلّ لأول خطوة بخطوها
 باريس (السوربون)
 ادوار فارس



بيتهوفن : اعظم الموسيقيين

مقتطف مايو ١٩٢٨

امام الصفحة ٥٣١

العبقرية والفنون الجميلة

الموسيقى

٢

ان قيمة الانسان في الحياة بشعوره . والمتفنن اكثر الناس شعوراً . والموسيقي اقوى المتفنين شعوراً . ان الشعور سبب سعادتنا وشقاؤنا . ان الشعور مصدر قوتنا وعجزنا . ان الشعور المصحوب بالمعرفة نعمة من اعظم النعم . ان الشعور المحروم صاحبه من المعرفة نقمة من اعظم النقم . ان ذا الشعور المحروم من المعرفة كالسجين لا يدري الى متى يمتد زمن تعذيبه . ان الشعور جرح في النفس لا يندمل . وقد استدعى ذو الشعور امهر الاطباء فعجزوا عن مداواته

ولكن الموسيقى وحدها هي البلسم الذي يسكن المذبح والجرح وان كان لا يبرئه
ان الفنون الجميلة ما عدا الموسيقى لا توجد الا في اماكن معينة ، في القصور
الشاخنة ، والمتاحف الغنية حيث تقتنى بدائع الصناعات وعجائب الطرف

ولكن الموسيقى توجد في كل مكان وفي كل زمان

ان الفنون الجميلة تشغل ركناً في حضن الطبيعة ولكن الموسيقى تشمل الطبيعة بأسرها
ان لنا في دوي الرعد ووقع المطر وهدير الماء وهبوب الرياح وانفجار البراكين
وزئير الاساد وتغريد البلابل وصفير العصافير وبكاء الطفل وانتحاب التلكى وقهقهة
السميل ووقع حوافر الخيل وصدى صوت العجلات ونواقيس الكنائس انغماً مطربة
تهب في النفس عواطف لا تعد ولا تحصى وتعرض على ذهن السامع مناظر عجيبة تملأها
رباً او رهبة او سروراً او حزناً . وطالما سمعت اصواتاً في الغابات من هبوب النسيم
وحفيف الاغصان وتساقط الاوراق وصوت زحف الحشرات التي ترى والتي لا ترى
هاجت كلها في نفسي ذكريات حلوة وفتحت لها نوافذ آمال بعيدة المدى

اجل ! ان الموسيقى سيدة الكون فقد ادعى بعض الفلاسفة ان الاجرام السماوية
تسير بانتظام حسابي مطبوعة في سيرها الابدي قانون الانسجام الموسيقي . وانه لولا
هذا النظام وذاك الانسجام لاختل ميزان الوجود واعتلت دورة الافلاك

ان الموسيقى وهي ام الاصوات ابت الا ان تسود حتى السكون : لم يسمع احدكم صوت السكون La voix du silence اذا انتصف الليل ووقفت حركة الكون في الظاهر واخذ الكرى بمعاقد اجفان الناس وسادت سكونية نسبية حول المكان الذي تجلس فيه فانك لا تلبث طويلاً حتى يستأذن على سمعك صوت خفي سحري يكون خافتاً في البداية ثم يرتفع شيئاً فشيئاً حتى يملك عليك جميع حواسك تغالبه بدقات قلبك تارة وبترديد انفاسك طوراً ثم تغلب له رغم ارادتك فتستولي عليك رهبة من ذلك الصوت المجهول ثم تطمئن اليه وتسري في سرايين نفسك انغام ساكنة هادئة فتبقى باهتاً كأنك خاضع لفعل السحر او كأنك سكران بخمر روحانية وبعد ان كنت واجماً قلقاً تصير هادئاً معتبطاً . وهذا هو صوت السكوت !

ان البطل المغوار يفتح البلاد ويقهر الممالك . ان السياسي المحنك يدبر شؤون الدولة . ان الطبيب النطاسي يشفي الناس من الادواء . ان الخطيب المفوه ينقل الى الذهن اجل المعاني بابلغ بيان . ان المهندس الماهر يجري الماء ويحيي موات الارض . ان الفيلسوف يحاول حل لغز الوجود

ولكن الموسيقى يفعل بصوته او قيثارته عملاً اعظم من اعمال كل هؤلاء جميعاً . لولاه لما فتحت البلاد ولا دبرت الشؤون ولا برئت المرضى من عللها ولا خطب الخطيب ولا سمع الجمهور ولا جرت انامل المهندس بخط الانهار ولا قابل الحكيم لغز الحياة بجأش ثابت وعزم وطيد

ان الموسيقى يهون على جميع الناس عبء الحياة . ان الموسيقى يزيد الحياة جمالاً . ويمحو من سجلها سطور الحسرة والالم

اتنا بعد ان نسمع انغاماً مطربة كانت او مشجية مثيرة كانت او مسكنة . نشعر بتغير في شخصيتنا . ننظر الى الحياة بعين جديدة ونرى في افعال الناس واقوالهم مقاصد ومعاني لم تكن ندركها من قبل . ان الموسيقى تفتح من اذهاننا ما كان مغلقاً وتير من زوايا قلوبنا ما كان مظلماً وتنش من قوانا ما كان هامداً وتوقظ من عزائنا ما كان خامداً وتنبه من امانينا ما كان غافلاً ويحي من ذكرياتنا ما كان مشرفاً على الفناء

ان الموسيقى للانسان كلماء للزرع

لقد قامت في سائر الفنون قيامة المبادئ المختلفة فن فرقة تطاوع الخيال واخرى تقلد الحقيقة وفتة تنسج على منوال الطبيعة وغيرها تجعل همها في مسارة الاوهام

ولكن الموسيقى دون سواها لم تكن عرضة للتقلبات لأنها رمز للوحدة والثبات قد
يغير الموسيقيون ويتقبلون وقد تتطور مبادئهم وتنوع طرائقهم ولكن الموسيقى ذاتها
تبقى دائماً كالجواهر الفرد وكل ما عداها عرض

انا في الوقت الحاضر عرفنا كل شيء او يخيل لنا على الاقل انا عرفنا . حقاً انا
لا ندري معظم الاسرار العليا التي تسيطر على الكون . لا نعرف سر الحياة ولا سر
الموت . لا نعرف كنه الكهرباء ولا حقيقة الاثير . نجهل ماهية المادة ونقف حيارى لدى
معنى الروح ولكن فضلنا على الاقدمين انا لا ندري وندري انا لا ندري . نعلم ان
هناك اسراراً لم يثن لنا ان نكشف عنها القناع وقد تبقى محجوبة عنا الى ان ينتهي
أجل الانسانية وتطوي الطبيعة صفحة الارض ولكن اذا انقضى هذا العالم فان بعض
العقول القوية التي احتكت به اثناء حياتها المادية تكون قد وقفت بالفرصة تارة
وبالالهام طوراً وبالذكاء مرة وبالتجارب اخرى على الفرق بين المعلوم والمجهول وهذه
خطوة واسعة جداً في سبيل العلم الاعلى . اتعلمون كم شقي الانسان في هذه السبيل كم
مرة اقترن سعيه بالحياة والفشل . ان تاريخ الانسان منذ حوّل نظره نحو شمس المعرفة
هو تاريخ ارتداد وتقهقر وحسرة

لقد كانت حسرة الانسان عظيمة لدى عجزه الى درجة ان عجزه صار قوة . واعظم
مظهر من مظاهر هذه القوة التي منشأها ذلك العجز المقدس كانت الموسيقى . ان
الموسيقى هي أمل الانسانية الحائرة وصرختها الخارجة من اعماق نفسها التائهة وآهتها
الحفية التي تخرج من ثنايا صدرها الضائق ، لقد ضاق صدر الانسانية من عجزها
ولكن لسانها انطلق فكانت الانغام

ان الموسيقى وحده دون غيره من المتفنين يهتدي الى اصوات تعبر عن انواع
الآلام ويمثل لنا بفنّه حالات النفس المعذبة ويسمّعنا صوت الردى وهو يودي بالارواح
والاجسام . ويتناول الطبيعة بانغامه فيظهرها لنا بسحره وهي في النزاع لدى فصل
الخريف فشمسها غاربة وامواها ناضبة وطيورها واجمة والوانها قائمة واشجارها
جرداء واوراقها صفراء . ويتناول النفس الانسانية وهي أشد ما تكون حزناً وأعظم
ما تكون حناناً واشعل ما تكون لوعة وأعظم ما تكون يأساً لدى فراق الحبيب فيمثل لنا

النفس وهي تجرع كأس الآسى ممزوجة ثمالته بقطرة من رحيق الهناء ويتناول النفس وهي في حالة تشبه الشفق وقد اشرفت آمالها على المغيب . يتناول النفس وهي كالطير المقصوص الجناح تملأه رغبة الطيران لأنه مخلوق للفضاء الرحب ومطبوع على التحليق في اعلى طبقات الجو وتقصد به ضرورة العجز لأنه تعوزه ادوات الطيران . يتناول النفس وهي في حالة الحنين الى الماضي والخوف من المستقبل تحن للماضي لا لأنه كان سعيداً إنما لأنها عرقتة والنفس لحيرتها وعجزها تطمئن الى ما عرفت وتخشى المستقبل لأنها تجهله وكل مجهول لديها مخوف بالمكاره والخواف

يتناول الموسيقى النفس في كل تلك الاحوال فيخرجها لنا انعاماً ذات الوان فيملأنا حزناً وفرحاً وحسرة وغبطة ويقتلنا عجزاً ثم يحيينا قوة تبارك الموسيقى اقدر المتفنين !

ان المتفنن العبقري لاسيما اذا كانت الموسيقى فنه محتاج ابداً لان يكون ثمالاً . ان السكر المعنوي شرط جوهرى وحاجة فطرية لأنه يثير الغرائز ويشحن سلاح المواهب الكامنة وبدون السكر المعنوي لا حياة للمتفنن . واول واعظم واقوى انواع السكر المعنوي المحتاج اليه المتفنن حب المرأة فهو باكمل معانيه خمر المتفنين المعنقة هو راحهم ورحيقهم . اعطني حباً اعطك فناً لان الحب وحده يحبو المتفنن بشعور القوة وشعور القوة لازم للوحي والالهام . ان الحب اعظم مظهر من مظاهر الارادة الانسانية لان به تبلغ النفس غايتها من النفوذ والقوة . اتنا بالحب وما يصحبه من العواطف نقوى على المجازفة في الحياة وتهون في نظرنا اكبر المخاطر . اتنا بحب المرأة نفتتح الابواب المقفلة ندخل القصور المسحورة ونطل من نوافذ لا يستطيع النظر منها الا الجيابة فنبصر بعالم جديد لا تراه الا الالهة

اتنا بالحب نقاسي عذاب النار المحرقة ونذوق ملذات النعيم الدائم ان الحب يجعل من الرجل الابله حكيماً ويزيد الحكيم التحرير حكمة . والحب هو الذي يحرك دولاب النفس ويخرج الانعام التي تحل لنا لغز الحياة وتقوى ساعدنا على رفع النقاب عن وجه الحقيقة

قد يتساءل الناس عما يجعل الموسيقى افضل الفنون الجميلة واشرفها ولماذا يكون

الموسيقى الحقيقي من امثال مايرير وفردي ووجز ويتهوفن وباك متقناً عبقرياً .
والجواب عن هذا السؤال سهل لمن يعين النظر . تأملوا قليلاً تجدوا ان سائر الفنون
الجميلة تحتاج في بروزها وظهورها الى المادة فالتقش والنحت والبناء لا يظهرها الا المادة
والحجارة . فنحن لا نستطيع صنع صورة بغير مجموعة كبيرة من الالوان واجزاء من
الخشب او القماش كذلك لم يقدر ميخائيل انجلو ان يصنع تمثالاً من غير صخر ولم يشد
الاغريق في عهد بركليس مبانيم الفخمة بغير حجارة

ولكن الموسيقى يظهر فنه في اسمى درجاته واجمل مظاهره بغير مادة . ان الاثير
وحده هو الذي ينشر موجات الصوت وينقل اهتزازات الانغام الى الآذان والموسيقى
يستطيع بصوته الفطري ان يبكينا ويضحكنا وان لجأ لآوتار القيثارة او مفاتيح البيانو
فما ذلك الا لاجراج الاصوات فالآوتار والمفاتيح غلاف والاصوات اعراض والانغام
جواهر ففضل الموسيقى على سائر الفنون هو كفضل الروح على المادة

ثم اننا اذا تأملنا سائر الفنون الجميلة كالتقش والنحت والعمارة رأينا انها تعبر
عن افكار وخواطر ولكن الموسيقى وحدها تعبر عن العواطف

التقش يعطينا صورة كليوبطرة . والنحت يعطينا تمثال منزقاً الهة الحكمة . والعمارة
تعطينا هيكل الكرنك وقصر انس الوجود

فننظر الى تلك الاشياء الجميلة ونعجب بها ولا نزيد . لان فن صنعها مهما كان عظيماً
لا يستطيع ان ينقل نفوسنا الى درجة ارقى من الاعجاب بالشيء المرئي . لان هذا
الفن محدود بالمادة اولا وباشكال معينة هي في ذاتها منشأ اعجابنا وموضعه . واذا انصرفنا
عن هذه الاشكال بالذات اضعنا فن المتقن . ولكن الموسيقى وحدها دون سواها بما
لها من القوة الروحية ولخلاصها من شوائب المادة ولقيامها بذاتها واستغنائها عن
الاشكال تراها قادرة على التعبير عن العواطف

لا يستطيع تمثال رمسيس الضخم الراقد الآن في فدان من ارض البدرشين تظله
مائة نخلة لو اننا موهناهُ بالذهب ورصعناه بالجواهر ونصبناه في اجمل بقعة من الارض
لا يستطيع هذا التمثال مع كل ما يحيط به من الذكريات المحيطة وما يدخله على الذهن
من الدهشة الا ان يحرك فينا الاعجاب بضخامة الصخر واقتدار الصانع

ولكنه لا يستطيع ادخال السرور او الحزن على نفوسنا

على أن جرة واحدة من قوس ضئيل على أوتار تكاد تكون لرقها رموزاً . تفعل
بالنفس ما عجز عن فعله ذلك التمثال الضخم لان الموسيقى وحدها من بين سائر الفنون
تخلق في نفسنا العواطف . هي تفرحنا وتبكيها وتدعونا بخنان ورفق ورغبة نحو الحب
وتدفعنا بقسوة وشجاعة نحو الحرب

ان الموسيقى وحدها تستطيع ان تغير حالات النفس من صفو الى كدر ومن كدر
الى صفو من امل الى يأس ومن يأس الى امل من غبطة الى غم ومن غم الى غبطة . هي
وحدها يدها سكرنا وصحونا راحتنا وقلقنا سعادتنا وشقاؤنا لانها قادرة على ايجاد العواطف
ويزداد قدر الموسيقى في نظرنا اذا عرفنا ان العواطف هي المسيطرة على الحياة فلا
قول يقال ولا فعل يتم بدونها . حللوا اقوالكم وافعالكم في اي وقت من اوقات حياتكم
تجدوها راجعة جميعها وجيزها ومسهبها جليلها وصغيرها الى العواطف
لولا العواطف لم يوجد الامل ولولا الامل لم توجد الحياة

دعونا من الذكاء والفصاحة مهما كان الذكاء شديداً فهو حيال العواطف ضعيف
عاجز . ان اقوى الناس عقلاً قد يكون اسير اقل النساء شأناً بقوة العواطف وافصح
الخطباء لو لم يحرك عواطف سامعيه بقوة عواطفه لن تترك فصاحته في النفوس أثراً
ان الفنون الجميلة ما عدا الموسيقى تلمس النفس لمساً سطحياً . ولكن الموسيقى تخترق
اعماق النفس

ان الحياة محكومة بقوة الارادة والارادة سيدة الكون وجوهره وروحه
وكل كائن روحاً كان او مادة انما هو مسير بقوة الارادة العليا التي ترى مظاهرها
ولا نعلم كنهها

وغاية الفنون الجميلة ما عدا الموسيقى تمثيل مظاهر الارادة العليا تمثيلاً عادياً
ولكن الموسيقى وحدها هي التي تعبر تعبيراً مباشراً ومحسوساً عن الارادة العليا
ذاتها فهي لسانها الناطق وصوتها الصارخ واثرها الظاهر . ان الموسيقى هي قوة القوى
وعاطفة العواطف وهي اقدر قدرة في الطبيعة واعظم مظهر للحياة

محمد لطفي جمعة المحامي



مقتطف ماو ١٩٢٨
امام الصفحة ٥٣٧

فولير

روسو

خمسة في سياره

٥

سر البحيرات

ماذا في البحيرة من سرّ؟ ولماذا يتوق الناس الى زيارة البحيرات ومشاهدة ما فيها من ماء وما حولها من يابسة؟ فقد نظم الشعراء الغربيون خير قصائدهم على شواطئ بحيرات اوربا وسكن كثيرون من كتبهم وفلاسفتهم على قرب منها ومن لا يعرف «مقاطعة البحيرات» من قراء الادب الانكليزي او اثر بحيرة ليلان — وهي بحيرة جنيف — وبحيرة لامارتين — وهي بحيرة بورجه قرب اكس ليلان — في ادب الفرنسيين

لم تمتع الطبيعة اجدادنا العرب بكثير من الماء ولكنهم قدروه قدره فاحلوه في خيالهم المحل الاول من الجمال فوصفوه غديراً ونهراً وما عرفوه بحيرة على ان شهرة البحيرات الاوربية في ماؤها تحيط به اليابسة الجذابة — اليابسة الصاعدة فيها الاكام والجبال والمكسوة بالغابات والحراج هذا هو سرّ جمالها وسرّ استهوائها للناس

فليست هي ماء وخضرة فحسب. بل ماء متغير الالوان من فعل النجوم التي تمر سراعاً من فوقها وخضرة هي تارة اشجار واخرى ازهار وآونة نبات على صخور صلاء فهذا التنوع في جمال الطبيعة او هذا الجمع بين ما اعطت الطبيعة من روعة حسن وآبة فنّ هو الذي يعطي البحيرات سحرها. فيأوي اليها العاشق الضاحك والعاشق الباكي وينتابها المريض الناقه والشديد المتعب الاعصاب ويرتاح الى لطف جوارها الشاعر ذو الخيال والكاتب ذو الابتكار والفيلسوف الصامت او الفيلسوف الكاتب وقليل من القراء من لم يسمع ببخيرة جنيف مثلاً. فشهرتها قديمة ولا تزال تجدها الدهر — اديبة فلسفية يذيعها اسم فولتير واسم جان چاك روسو — دينية لاهوتية ينشرها كلفن واتباعه المصلحون الكنسيون — سياسية بدأت بوليم تل ولا تنتهي بجمعية الامم

وبخيرة بورجه قرب «اكس ليلان» صغيرة لا تقاس ببخيرة جنيف. ماؤها

هادئ ضيق السبيل والجبال من حولها بعضها اصمّ اقرع وبعضها تكسوه الاشجار. يقوم على شاطئها من اليسار دير جمع رفات الدوقات والامراء والملوك من بيت سافواي المالك في ايطاليا الآن

تدخل هذا الدير فلا ترى الا اثراً من آثار بيت سافواي فمن تمثال الى صورة الى كتابة وهكذا من اول امير في هذا البيت الى صاحب الجلالة الايطالية الحالي والولاية فرنساوية الآن . اما الاثر فايطالي . وقد راعت الحكومة الفرنسية مجاملة بيت سافواي المالك فجعلت للدير حرمة سياسية ايطالية في ارض افرنسية ويقول الذين لا يعلمون الحقائق ان عين ايطاليا تنو الى مقاطعة سافواي واخذها من فرنسا

فان نابوليون الثالث ضمها الى فرنسا ثمناً لمساعدته الايطاليين على النمسا

ولكنها لم تكن طليانية كما نفهم القوميات الآن بل ولاية من هذه الولايات المستقلة التي تقدمت نظام القوميات في اوربا

فادعاء ايطاليا بها لا يبرره الا ان زعيم البيت المالك فيهم كان اميراً لهذه الولاية ويسمى باسمها على ان البحيرة خالدة لا بالدير ولا بامراء سافواي بل بالشاعر لامارتين . فعلى مياهها وفي قارب صغير يطوف عليها جلس لامارتين الى عشيقته

لامارتين

يغني فيطرب ، ويملا الدنيا شجواً ويكسب البحيرة والبلدة التي في جوارها خلوداً وان الزائر يرى حتى الساعة بيت لامارتين في « اكس له بان » بالقرب من نبع المياه المعدنية وهو بقرشه معرض لآثار لامارتين — دع عنك تمثاله القائم على البحيرة نفسها غريب امر هؤلاء الشعراء !

لهم ملك القلوب ولهم سلطان العقول في الحياة وفي المات فيابون — بعض منهم والحق يقال — الا ان يسيروا مع تيار الحياة الدنيا ويتأثروا بما فيها من مجد وسلطة فارغتين فيعبدونهما



ازاعم مجهلون انهم هم الخالدون فيضجون بمقامهم العالي في السعي وراء زعيم سياسي
او في استجداء ملك ذي عرش . فيزول الملك وعرشه ويندثر المتسلط السياسي
وحكومته ويبقى الشاعر حياً لا يموت

ولو اتسع المقام لدلنا بالعين وبالاصبع على هؤلاء الشعراء في كل زمن وفي كل
لسان وفي كل امة

وقد يكون تعليل ذلك طمع الانسان ان ينال كل شيء اذا استطاع — ولكنه
طمع لا يستند الى عقل يليق بالشاعر — والشاعر الحق غيت — فان الشاعر رفيق
الانبياء معلماً ومسلياً ومطرباً ومبكيّاً ومفسراً لكتاب الطبيعة فما باله لا يأوي الى السكن
الروحي ويترك للاخرين هذا العالم الفاني

اما بحيرة أنسي فليست مثل زميلتها التي في جنيف . بل هي نقطة في بحر ها . وليست
مثل التي بالقرب من « اكس له بان » فالجبال من حولها اقل ارتفاعاً واهج منظرأ بما
نكتسيه من اشجار خضراء

فهي ماء ينساب بين شاطئين مأهولين بالقرى وبالأكام وبالحدائق تزينها الاشجار
الشرة والازهار الزاهية الالوان

فالماء ازرق حيناً واخضر حيناً وابيض احياناً كأنه يأتمر بأمر ملك الغيوم فوقه وقد تهب
الريح فتلعب بامواجه بل تداعبه فلا يثور ولا يزجر كالبحور ثم تمطره الغيوم وابلا
يجل معه الى الناظر ان قد تم الاتصال بين السماء والماء فيقصف الرعد ويبرق البرق
ليدنا بهذا الوصل او ابتهاجاً به فان لغة الابتهاج في الطبيعة غيرها في بني آدم . ثم يصبح
الصباح وتبرز الغزالة فاذا بالماء فضة مذابة واذا الريح قد عقدت عليه درعاً منيعاً لا تجمد
وليس لهذه البحيرة شاعر يخلدها — ويغلب على الظن ان الوصول اليها في الايام
الضاحية لم يكن سهلاً فجهلها الشعراء والكتاب وعرفوا بمحيرات اوفر منها حظاً

ولا اظنها بحاجة الى الشعراء فان هذا القارب يشق الماء بمجذافين احدهما بيد شاب
يسبل من وجهه ماء الابتهاج ومن جبينه النشاط وآخرها بيد فتاة تنظر ساعة الى الماء
الغرى الى السماء واخرى الى وجه الجالس امامها وتطيل النظر

او تلك الفلك الصغيرة يقذفها في الماء شرع تدار بيد رجل واحدة وبعطف بالاخرى

قواماً كالهباء المنثور . او تلك الآلة المحركة تدفع فلماً اخرى في الماء دفعاً شديداً له
 ازيز كازيز الطيارات تذكر العالم انه في عصر لا تليق به الاحلام
 كل هذه قصائد تغني عن أنسى الشعراء
 ويغنيها عن الكتاب ان على اكمة من الاكام المجاورة للماء قبر الكاتب الافرنسي
 الشهير ونبيه ايپوليت تين Taine

وجلس صاحبنا المصري تحت شجرة في حديقة الفندق والبحيرة منبسطة امامه
 يتناول ماءها بيده . وحلم وحلم ومفتح العينين في رابعة النهار بعيداً عن الرفاق .
 ومرت به فلك خالية الا من صاحبها فاستأجرها واستقلها وحده يجذف ماراً بالقوارب
 الاخرى مشاهداً في غير ما غيره او حسد ، ضاحكاً في غير عتب يذكر اياماً له مضت
 فلا يدري ايود ان تعود او يقنع بحاضره حتى كاد قاربه يصطدم بصخرة بارزة من
 جبل فنظر واذا به يرى صليباً صغيراً بارزاً مقاماً على جانب الصخر فاقرب جهده
 بقاربه الى الصليب فاذا به ذكرى شاب وشابة قضيا في تلك الناحية وعلى هذه الصخرة
 فاستولت عليه سويداؤه واخذ يعيد في خياله موقف الحيين من تلك الصخرة
 كيف وقعا . هل ماتا تدحرجاً على الصخور من فوق او غرقاً في الماء من تحت . بل هل
 مات الواحد فاتتحر الآخر ولحق به حزناً عليه وهل جزعا للموت ولا انتهاء جهما ؟ ام
 فحكما للموت فحكهما للحياة ؟

ولماذا يقدر لهذين المسكينين ميتة كهذه وهؤلاء الآخرون يمرحون ويلعبون
 افي مثل هذا المكان والهواء والماء عليلان والشمس ضاحكة تداعبها الغيوم والازهار
 فرحة والطيور مغردة يجوز لعاشق ان يموت ! او ليست الحياة في لحظة حب فاذا ما تمتع
 الحب بهذه اللحظة فما هو الغرض في الحياة بعدها ما هذا ؟ .. اعود الى ذكرى
 الصبا وتذكر مراتع الشباب . لا — ليس ذا وقت الزيارة . فاذهبي بسلام

ووقعت اقدام الرفيق الانكليزي على الحصا فذعر صاحبنا وفتح ذهنه وزال عنه
 كابوسه واستقبل رفيقه باسمّاً قال . هل رأيت مثل هذا الجمال ؟
 — الانكليزي — شيء جميل جداً . ولكن تعال معنا الى انكلترا نرك اجمل من هذا
 — المصري — ان شاء الله
 ساحي الجريدني

شرقية في انكلترا

٢

العائلة الانكليزية

يفهم الانكليز من « العائلة » غير ما نفهم نحن تماماً ، اذ هي عندهم عبارة عن كتلة متضامنة متماسكة ، دون ان يضحي في سبيل هذا التضامن بشيء ما : هي مترابطة لكنها ليست متلاصقة. يتزوج الرجل والمرأة فيتحدان بعروة لا تزال لها قداسة وتبجيل رغمًا عن التطورات الاجتماعية بعد الحرب التي سهلت كثيراً في مباديء الطلاق والهجران يحبان البيت ويحسبانه تلك الزاوية الصغيرة التي هي مقر سعادتهما وقبلة أملهما وقطعة تمثل نفسيهما متحدتين ، فيعاونان على العمل في سبيل جعله هنيئاً . ولكن هذا البيت في الوقت ذاته لا يستعبداه ولا تحول تلك العروة المقدسة دون سلوك كل منهما طريقه الخاص . فقد يعنى الرجل بشغله طول النهار ، وقد يذهب الى صحبه في الاندية الخاصة بالرجال يجلس اليهم جاسات لا تلد للرجل إلا اذا خلا الى بني جنسه . اما هي فقد لا يمسكها من اشغال البيت ما يستغرق ساعاتها الطوال ، فتذهب الى عملها اذا كانت ذات عمل وتشتري في رفع مستوى البيت اقتصادياً ، وقد تزور وتزار وتذهب هي ايضاً الى انديتها الخاصة . ولكنهما يجمعان دائماً على ثقة متبادلة وسلوك جلي وعلى عدم اهمال احدهما لشأن الآخر او الاستمتاع بشيء من لذات الحياة دونه ، وكل امرأة تفهم اعمال زوجها وتتفانى في مساعدته وقد تغلو فيها غلوًا يكون سبباً لنجاحه العظيم وتجد مسحة الهناء البيتي في العائلة لانها تقوم على روح التفاهم والصرامة بين افرادها . اما مسألة السيادة في البيت وهل هي للاب او للام ، فاني اؤكد انها عندهم كما هي عندنا وكما هي عند كل البشر ، وهي مشكلة وهمية محلولة بطبيعتها لا تستدعي سابق اتفاق ، اذ ان الاقدر منهما على ادارة العائلة هو الذي يسيّر امورها ويسود عليها وقد لا يشعر الفريق الآخر بهذه السيادة ، وقد لا يقر بها ، لكنه يخضع مختاراً الا اذا انقلبت السيادة استبداداً . وتظل جامعة العائلة عاطفية تقوم على الرأفة والحنان والعناية الصحيحة ما دامت مؤلفة من والدين واطفال . واما اذا شب هؤلاء وتزوجوا بما يؤهلهم لمنازلة الحياة فإن منهم من يضرب في مشارق الارض ومغاربها سعياً وراء

الرزق ، ومنهم من يبقى ضمن العائلة الى أجل ، ولكن جامعهم عندئذٍ تقوم على المصلحة المتبادلة سواء في ذلك البنات والفتيان ، حتى ان ائبل العائلات واشدها محافظة صارت تتساح في خروج الفتيات الى العمل كالفتيان ، واصبح من الامور العادية ان تسمع ان فتاة لقب تشتغل سكرتيرة او مديرة محل او في مخازن الازياء او على مسرح التمثيل والفناء الى آخر ما هنالك من متنوع الاشغال

اما اذا تزوج الاولاد فان الوالدين لا يكون لهما حينذاك من امر الولد شيء ولو كان وحيداً وكان احد ابويه ارملاً ، فان العائلة الجديدة تتألف مستقلة بعيدة عن المؤثرات الخارجية ، والابوان يرجعان الى حياة هادئة سارة ويقضيان بقية حياتهما في استقلال لذيذ محتاطان له من اول الشباب . لان الاستقلال الشخصي هو غاية الانكليزي القصوى

العناية بالاطفال

يذكرني هذا الاسبوع كثيراً باطفال انكلترة ، فاليوم يومهم هناك ، اذ ان عيد الميلاد يكسو البلاد حلة من الجهور ويغمرها بأمواج من المسرات . ومن لم ير استعداد الانكليز لهذا العيد لا يمكنه تصويره ، فانت تشعر ان الفضاء تغير والهواء تبدل ونظرات الجموع تحولت لحاظاً سعيدة . فابتسامة الغبطة على كل ثغر ، ولحمة الحياة في كل وجه ، والتأهب للفرح في كل حركة ، والاولاد هم بهجة العيد ومحوره ، تقام لهم الحفلات والزينات وترسل الهدايا ، وتحول المخازن الكبرى اهم اقسامها الى معارض لهو تقام لاجلهم ، وعملاً اقساماً ثانية بمختلف الالعب ، وتوقف اعظم المراسح على تمثيل روايات خاصة بهم يقوم بادوارها اشهر الممثلين . ولعل نصيب الاطفال الفقراء من العيد اعظم من نصيب الاغنياء ، فكل عائلة تحسب لهم حساباً ، وكل قصر يقيم لهم حفلة ، واهم السيدات يشتهن لاجلهم بكل جد وعلى رأسهن الملكة التي قد تذهب يومياً الى المركز العام لتسلم الهدايا وفتيحها وتوزيعها على بقية الفروع الكثيرة . وقد تراكم عليها الشغل مرّة فاضطرت الى تناول غذاء وقي في مركز الجمعية لمتابعة عملها

وهناك جمعية عظيمة الانتشار لحماية الاطفال من كل سوء حتى من قساوة الوالدين . وقد ضرب والد طفلة مرة ضرباً عدوّه شديداً فحكم عليه بالسجن والاشغال الشاقة ستة أشهر

الطفل له الحظ الاوفى من العناية في البيت، من حين ولادته الى ان يشب فيطلق وشأنه . يؤخذ في عربته الصغيرة يومياً الى الهواء النقي مهما كانت حالة الطقس ، وله في كل ناحية جنات فسيحة يسرح فيها ويمرح بمراقبة امه او مربيته التي لا تثبت وجودها الا اذا اضطرت لاثباته . ويتمتع بما في الجنائن من معدات اللعب المجانية ويجدهنالك كثيراً من الرفاق يشاركونه في العابه ويتعود معهم معايشرة الناس والاطمئنان اليهم . وللطفل الكتب التي لا تحصى ، وله الجرائد والمجلات الخاصة ، وله صفحات وصور في معظم جرائد الصباح والمساء ، وله قسم يومي في برنامج الاذاعة اللاسلكية اذ تلقى على الاطفال قطع موسيقية جميلة واناشيد وقصص مفيدة ونوادير فكاهية تراهم يطربون لها اي طرب

وقد احزنني أخ لي في العاشرة من عمره اذ جاء يسألني شيئاً يريد ان يقرأه للتسلية في عطلة الصيف فوقفت واجهة امام عقبة لم اتمكن من اجتيازها لان ما بين يدي وما اعرفه في العربية كله لا يصلح لولد في سنه ليفيده ويسليه . فاین هذا من تلك الكتب التي ليس لك الا ان تختار منها ما يروقك ؟ فالكتب المصورة تلقى الى الطفل منذ السنة الاولى من حياته ، ثم تتدرج معه في سنه ، ومنها ما ينحصر للبنات ومنها للصبيان ، ويظل يتمتع بها الى ان يتاح له قراءة ما يشاء

وتعجبك من الطفل نظافة صحيحة ، على انني اظن ان الانكليز من اكثر الامم نظافة فالاستحمام اليومي عام بين كل الطبقات لا يختص بطبقة المترفين كما هي الحال في الامم الاخرى . اما التربية فاهم اسسها الاستقلال الشخصي واحترام الغير ، يدرجون الطفل على ذلك تدريجاً بديعاً معتدلاً ، فيبدأونه في مشيه ثم في العابه ثم في شراء لوازمه ثم في انتقاء دروسه ومدرسته ثم يترك وشأنه . ويستعدون للعناية بجسامهم وارواحهم استعداداً تاماً ، فالحاضرات والنصائح قد تلقى بجانباً للامهات ، والجمعيات تعقد لمعائهن ، هذا عدا الكتب والمقالات التي تصدر كل يوم ولكل من افراد العائلة المالكه او ذوي المقامات العليا مؤسسة من مؤسسات الاطفال يجعها في حمايته

اما محبتهم للطفل فهي عميقة غريبة تدل على شعور رقيق . فهم يلاطفونه على الطريق وفي القطارات وفي الحازن والمتنزهات وفي كل مكان . واذكر اننا كنا مرة في محل قرب « بيكدالي » — احدى ساحات لندن الكبرى — ومن يقدر ان يتصور كيف

ينفر الناس يوم الحشر يمكنه ان يتصور الازدحام في « بيكادالي » وقد اوقف البوليس حركة السير ليخلي الطريق هنيئة للمارين ، ولا يزال عجبى على شدته حينما اذكر انه مع كل ذلك تمكن من ملاطفة اخي الصغيرة بابتسامة حنان وكلمة لطيفة ، وكثيراً ما كان الناس يوقفوننا ويستأذنون بمخاطبتها وملاطفتها . وما اكثر الفرص التي يكون بها الطفل سبباً لتعارف عائلتي قد يولد صداقة متينة

الفناء الانكليزية

اول ما يستلفت نظرك منها قامة رشيقة متناسبة ، وزى حديث يلائم الزمان والمكان ، ولكنه على كل حال تقلص الى حدود الركبة وربما الى فوقها وظهر من تحته ساقان ممشوقتان تكملان جمال قامتها . وحينما لا يستلفت وجهها نظرك بجمال الفائق يستلفتها بضارة حية . تلبس دائماً احدث القبعات ويستحيل ان لا تتناسب قبعها مع لون الرداء او لون « التخريج » وتجدها دائماً تتدفق حياة كأنها على استعداد لامر تفعلة هذا ما تراه من مظهرها الخارجي . اما في ما عدا ذلك فقد عرفتها تتأبط حقيقة عملها صباحاً نشيطة سريعة ، وعرفتها في مكان العمل خفيفة زاهية كفراشة الربيع ، وعرفتها على مقاعد الدرس والتدريس مجدة هادئة ، وفي الادارات الكبرى تدير دفة العمل بمهارة واتقان ، وفي مسارح التمثيل تمشي بالفن الى درجات الكمال ، وفي مجلس النواب محترمة الصوت رفيعة المقام ، وعرفتها سيدة بيت كاملة تهى بنفسها راحة الزوج والاولاد والضيوف ، ورأيتها في ميادين اللعب تجول جولة الابطال ، وعلى صهوات الحياض تتفوق — بشهادة العارفين — على الفرسان من الرجال ، وفي النهر تسيّر قارباً صغيراً تجذب بهمة ونشاط ، وفي البر تجلس الى سيارة وقد يكون معها صحب من الرجال فتقودها دونهم بلباقة تقل فيها المخاطر ، ورأيتها تحلق في الفضاء هازئة بالمجازفات ، ورأيتها — في شخص « مسز كورت تريت » تضرب في مجاهل الارض وتعرض للصعوبات لتساعد في اكتشاف طريق جديد للسيارات من رأس الرجاء الى القاهرة . واذكر تلك اللذة التي حدثتنا بها عما لاقته من ضروب العذاب وتلك الصور التي ارتنا بها كيف تقدر المرأة على مصادمة الاخطار . ورأيتها على الشواطىء البحرية مرتمة على الرمال تعرض جسمها لحرارة الشمس بعد سباحة طويلة ، مفخرة بأثار لنداتها في جسمها ، ورأيتها في السهرات وقد ارتدت اجمل الاثواب تتمايل في حلقات الراقصين

... ورأيها وطنية سبقة الى الخدمة العامة تهتم بالمسائل السياسية، داخلية وخارجية. واعرف صديقتين لنا هما « مسز برود هرسن ومسز فاركرسون » رئيسة وسكرتيرة « العصبة السياسية الوطنية » ولعصبتها اعضاء عديدون ينتمون الى ارفع الطبقات. ولها اهتمام عجيب بالمسائل السياسية العربية على اطلاقها وتشغلان باخلاص تشكران عليه، وقد جندت عصبتها وحدها ايام الحرب ثلاثين الف فتاة وضعتن في تصرف الحكومة. ورأيها تسير بالنهضات النسائية الى هدف اعلى حتى تزعمت الحركة النسائية في العالم

رأيها في كل مركز وفي كل عمل اذ يندر ان تجد في انكلترا امرأة دون مركز تشغله او يشغلها، ولم ارها في كل ذلك الا جذابة محبوبة، حرة محترمة، رغم ما يهيم به الرجعيون من فقدانها جاذبية الانوثة لانها دخلت ميدان العمل، الامر الذي يتركون به في كل الامم. على انني اذكر ردًا بديعًا لاحد اللوردات وهو رجل عجوز قال: « ان ابنة اليوم هي اصلح مثال لعصرها، خلقت لمجاراته لا لمجاراة ميلونا القديمة، وكثيرات من الفتيات تنقصهن الجاذبية طبيعة دون ان يشغلن، ومهما كانت فتاة الامس جذابة في نظرنا فانها لا تجاري فتاة اليوم التي نرى من افتتان شبان العصر بها ما يكفي للدلالة على ان نقصان جاذبية الانوثة وهم من الاوهام »

اما تعليمها فهو متناسب مع تعليم الرجل اذ انه، على العموم، ثانوي الا اذا اريد التخصص، ولكنك تجد الطبقات العليا ترسل بناتها، بعد اكمال دروسهن، الى عواصم اوربا وعلى الاخص الى « باريس » يدرسن لغة البلاد او يتخرجن في احد الفنون الجميلة

وقد نالت الانكليزية من الحقوق العامة ما يمكنها من ان ترفع رأسها به تيهًا امام الامم، حتى نالت مؤخرًا حق الانتخاب على اطلاقه بعد سن الحادية والعشرين، ويبلغ عدد اللواتي لهن حق التصويت حسب الاحصاء الاخير ٩٢٢ و ٨٣٢ و ١٤ امرأة في مقابل ٧٩٩ و ٦٩٧ و ١٢ رجلاً ولا يخشى على الرجال منهن لانهن، على الغالب، سالمات يسعين الى حقوقهن بقوة — والحق لا ينال بغير القوة طبعاً — لكنها قوة السعي المتواصل والكفاءة الثابتة. وقد اجتمعت مرة « بمسز فيلبسون » احدى الثابتات في المجلس البريطاني وسألتها عن عملها ومبادئها فقالت في حديث: « ليس من مبدأي اظهار التظلم كثيراً من الرجل. ولا مجاہتة في طلب الحقوق، بل اني

اسألته وافتح له قلبي واقدّم دائماً اذنًا صاغية لسماع شكواه ، ولو كانت من النساء .
لهذا تجدني زملائي النواب يطالعونني على امورهم وقد يشكو اليّ بعضهم بعضاً . وهذا
لا يخفك قلّ ان تسمح به كبرياء الرجل لامرأة » . واحسب ان هذا يعبر عن رأي
الاغلبية العظمى من الانكليزيات

كنت كلما رأيت الفتاة الانكليزية تتمتع بنعم الحياة وافرة ، اتمثل الجهود التي بذلتها
في احيال متطاولة لبلوغ هذه المرتبة الرفيعة ، ولكن رؤيتها كانت دائماً تثير في نفسي
عاطفتين : كنت اعجب بها واغبطها مأخوذة اللبّ بهذه القدوة الحسنة ، ثم كنت اتألم
واشكو الاجحاف من دنيا تحسب عليّ هذه الايام التي احيها من العمر ، حياة !

النفسى الكريمة والتهذيب الراقى

كنت اول ما ذهبت الى انكلترا التقط اللغة من افواه المتكلمين واذكر ان اول
كلمة حفظتها منهم اذ كنت اسمعها تتردد على كل لسان هي كلمة (Lovely) يقولونها كلما
استجملوا امرأ ما ، وكانهم يرون في كل شيء جمالا خاصا فيطلقون الصفة بهذا السخاء
الذي يسترعي الانتباه . ثم بقيت ستة أشهر قبلما حفظت كلمة (Nasty) التي يقولونها
للاستقباح لقلة ورودها على ألسنتهم . انها حادثة صغيرة ولكنها دليل كاف على ما عند
القوم من تهذيب راق وكرم نفس

على اني اذا وصفت الانكليز بكرم النفس فاني دون شك لا أعني انهم خلوا من
النقائص او انهم ملائكة ابرار ، واذا تكلمت عن النظام والترتيب والامان والتهذيب
الراقي فاني لا أنسى كيف يهجم السارقون بقعة عجيبة على واجهات الخازن في راحة
النهار وعلى مرآى من آلاف الانظار وعلى مقربة من البوليس فيحطمون الزجاج
ويسرقون الغالي والثمين ويختفون بسرعة « الابالسة » قبل ان يعود للناس رشدهم وقبل
ان يتمكن احد من مسهم بضرر ، ولا انسى كيف يعتدى على النظم الاجتماعية بفضاعة
لا يأتي بمثلها احط الخلوقات آداباً ... ولا تمرّ دون ألم عميق في نفسي ذكرى نك
سياسيهم عهود العرب ، بعد ان وثق هؤلاء بهم واستسلموا باخلاص لوعودهم الزائفة .
ولكنهم كشعب خربت ما فيه من النقائص والحسنات ، لا أقدر الا ان اصفهم بكرم
النفس ، ولم أر من افرادهم الا عطفاً على ما يسمونه القضية العربية واستنكاراً لعمل
السياسيين ، ولعل هذا الفرد ذاته الذي تمتلئ نفسه عطفاً عليك ينقلب سياسياً متولواً

إذا تسلم زمام الحكم . على أنه ليس من شأني ان اتبعه الى هناك فانا اکتفي بهذه النفس الکريمة التي يظهرها عند كل ساحة وبهذا الاستعداد الذي يقدمه لخدمتك حتى لننسى غربتك ولو كنت تجهل اللغة . وبهذا الشوق الذي يديه لسماح آلامك والرغبة في اکتناها

النفس الکريمة تدفعهم الى كل عظمة وتهوّن عليهم كل تضحية . أليست هي التي تدعهم يتسابقون الى البذل في سبيل اعانة البائسين ؟ وتحمل نبيلات سيداتهم على الخروج الى الطرقات بسلال الشقيق الاحمر يعيها للمارة يوم عيد الهدنة فيقبلون على شرائها بسخاء حتى يزين بها كل صدر وكل مكان فلا يقع نظرك يومذاك الا على مروج من الشقيق الاحمر ، ومن ريعها تدخل آلاف الجنهات صندوق اعانة مشوّهي الحرب اما التهذيب الراقي فانك تراه جلياً في كل الامور ، ترى العاملة بالخازن والدكاكين تسلمك مشترك وتسبقك الى كلمة الشكر ، وتسلم التذاكر في المحطات يجمع المئات والالوف كل يوم ويتناول كل تذكرة مرفقة بكلمة شكر . والرجل منهم يقدم لك المساعدة دون ان يأبه لمكافأة بل يقوم بذلك بطيبة خاطر دالة على نفس كريمة وتهذيب راقٍ . وقد كنا مرة في ترهة طويلة في « بارك رشموند » وكان يسير على مقربة منا رجل في نحو الستين من عمره تدل هيأته ويدل ظاهر السيدة التي ترافقه ولباسها على انها من الاسياد وكانت اختي الصغيرة تبعة فحملها اخي مدة حتى ارتاحت ولم يكذب يضعها على الارض حتى أسرع الرجل وبجرعة رشيقة سلم عصاه لامرأته وبلفظ سام لن أنساء قط تقدّم مستأذناً وقال : « لقد أتى دوري الان بحمل هذه الصغيرة اتعبه »

وبنفس كريمة يحمون الحيوانات كما يحمون الاطفال حماية صحيحة لا اسمية فحسب ويرعونها بعطف وعناية صادقين ولهذا فانك لا تشهد هناك في معاملة الحيوان هذه الفساوة التي كثيراً ما تدمي القلوب . وبأدب راقٍ وضع أحد سائقي « التاكسي » علبة سجائر في مكان ظاهر من سيارته ليدخل منها الراکبون ولكنها اجاب عن سؤال استفهام بقوله انه قلما تنقص العلبة اكثر من سيجارتين او ثلاث في النهار

أليس النفس الکريمة والادب الراقي هما اللذان جعلنا سائفاً آخر ، ايام الواقعة في السنة الماضية ، يصوّب المطهرات الى داخل سيارته بعد كل راكب ليأمن الراکب الجديد لما قد يحمل اليه من عدوى ؟ وبأدب راقٍ تراهم ينتقدون انتقاداً مرّاً لا ينجو من سهامه عظيم ولا كبير ويصوّرون صوراً هزلية لا يسلم منها حتى ولا ولي العهد ،

وبنفس كريمة وخلق رضي يتقبلون ذلك الانتقاد ويطربون لهذه الصور
وبأدب راقٍ خالٍ من الادعاء الفارغ، وباحترام لا تشوبه مبالغة تعامل المرأة
كيفما اتجهت . واني اقول واكاد لا اصدق ذلك باني اقيمت في انكلترا نحو سنتين لم
اسمع فيها كلمة تخدش الازدهان ولم ارَ نظرة توجه الى امرأة بفضول اذا لم تشجع
هي على ذلك وقد بقيت اشهرًا عديدة اذهب صباح كل يوم مقدار ساعة بالقطار لاخذ
دروساً في الانكليزية ، والازدحام يكون على اشده في ذلك الوقت والقطارات مملوءة
بالفتيان والفتيات ، وكنت اقصد دائماً ملاحظة آدابهم فما كنت ارى رجلاً الا معه
جريدته يستغرق في قراءتها وكل فتاة تتلهى بجريدة مصورة او تفتح كتاباً او تخرج
من حقيبتها شيئاً تتابع حيا كنهه بالصنارتين ، حتى اضطرت ان افعل مثلهم واحضر
كل يوم شيئاً اقرأه في القطار

والتهذيب الراقى هو الذي يجعل بائع اللبن الحليب يمر على الابواب ويترك مطلوب
كل بيت من زجاجات الحليب مملوءة دون ان يطرق الباب ودون ان يخاف عليها السرقة
او التحطيم . بل اعظم من ذلك ان تدخل بيتاً جامعاً لسكان مختلفين فتجد على طاولة
امام باب المدخل قائمة كل منهم لحساب الغسيل وقد وضع كل الدراهم المطلوبة منه فوق
قائمتيه دون ان يخطر في باله التحفظ من سرقتها او من سوء امانة تسلمها . والتهذيب
الراقي الذي يؤمن على حاجتك اذا اضعها اليوم ان تسلمها من ادارة البوليس غداً .
بل انك حينما توجهت تلاقى بنفس كريمة وتعامل بتهذيب راقٍ

انت اذا ترى هذا وذاك كل يوم وكل ساعة فلا غرو اذا نزل المكان من نفسك
منزل الهية والاعجاب ، ولا غرو اذا احسست ان شخصك محترم وان الناس يعامل
بعضهم بعضاً بتهذيب ، فتشعر بانك جزء من هذه العظمة الشاملة

الا ان المدنية مهما اختلفت التعاريف ومهما جُمع في شرح هذه التعاريف من
مجلدات تلخص بقول « برنارد شو » اعظم كاتب حي على الاطلاق حيث يقول
ببساطة : « المدنية هي ان تحترمني وتحترم ما يخصني ، واحترمك واحترم ما يخصك »
وتتفاوت مدنيات الامم ، انحطاطاً ورفعة ، بتفاوت انطباق هذا التعريف عليها
قرباً وبعداً ، واذا سلمنا بهذا فاننا ولا بد مسلمون بان الانكليز من افضل امم الارض
مدنية



صور الكلاب السلوقية في الآثار المصرية

مقتطف مايو ١٩٢٨

١ امام الصفحة ٥٤٩

الكلاب السلوقية

تسميتها

الكلب السلوقي ويعرف أيضاً بالهبلع والهجرع صنف من الكلاب الضارية اي التي تصيد وهو طويل القوائم ضامر البدن سريع الجري . قيل سمي سلوقياً نسبة الى سلوق باليمن وقيل نسبة الى سلوقية بلد بارمينية . قال ياقوت في معجم البلدان « سلوق مدينة اللان ينسب اليها الكلاب السلوقية وقال الجوهري مدينة بالشام تنسب اليها الدروع السلوقية قال ويقال سلوق مدينة اللان ينسب اليها الكلاب السلوقية . وقال ابن الحايك وهو يذكر اليمن ان سلوق كانت مدينة عظيمة بارض الجديد في اليمن واسم بقعتها حسل الزينة وهي آثار مدينة قديمة يوجد فيها خبث الحديد والحلي واليها كانت العرب تنسب الدروع السلوقية والكلاب السلوقية » . وفي لسان العرب « سلوق ارض باليمن وفي التهذيب قرية باليمن وهي بالرومية سلقية قال القطامي

معهم ضوارٍ من سلوق كأنها حُصْنٌ تجول تجرر الارسانا
والكلاب السلوقية منسوبة اليها وكذلك الدروع . ويقال سلوق مدينة اللان تنسب اليها الكلاب السلوقية » . واللان بلاد واسعة في طرف ارمينية مجاورة لبلاد الخزر

هذا ملخص ما جاء عن سبب تسمية هذه الكلاب بالسلوقية فهي اما منسوبة الى سلوق باليمن او الى احدى المدن التي كانت تعرف بسلوقية وهي كثيرة منها مدينة على ضفة دجلة اليمنى جنوبي بغداد ومدينة في ساحل الشام قرب انطاكية ومدينة في كليكية نسمي الآن سلفقة ومدينة في ولاية خوزستان في بلاد فارس . ولعل هذه الاخيرة مدينة اللان التي مر ذكرها

قدمها واصلمها

وسواء كانت هذه الكلاب منسوبة الى سلوق في اليمن او الى احدى المدن التي كانت تسمى بسلوقية فقد كانت معروفة قبل الزمن الذي اختطت فيه هذه المدن بالوف من السنين . كان يقتنيها الاشوريون والبابليون والفرس من عهد بعيد وهي مرسومة على اقدم الآثار المصرية ويظهر من شكلها انها لم تكن تختلف كثيراً عن الكلاب السلوقية التي يقتنيها العرب في ايامنا وهي كثيرة عندهم في المغرب والصحراء الكبرى والسودان وبلاد العرب والشام والعراق

ولا يعرف اصل الكلاب سواء كانت سلوقية او غير سلوقية فهي اما متولدة من نوع منقرض من الكلاب الوحشية او من الذئاب او من بنات آوى او من كلبها فان من اصنافها ما يشبه هذه الحيوانات كثيراً ولا تزال الكلاب تتوالد معها ولا يكون ما يتولد منها عقياً بل ولوداً مما يدل على قرب النسب . والكلب السلوقي قريب جداً من الذئب في شكل رأسه ودقة خطمه

اوصافها واصنافها

ويوصف السلوقي بصغر الرأس وطول الخطم والعنق والقوائم وهو حاد البصر سريع الجري لكنه ضعيف الشم . ألوانه مختلفة منها الأبيض والأسود والأصفر والأحمر والأبقع والخنجي أي ما كان بين الصفرة والحمرة . اصنافه كثيرة وكلها متشابهة في اشكالها لكنها تختلف قليلاً في بعض الأمور الظاهرة كطول الشعر وقصره او نوعيته وخشونته واشهرها الاصناف الآتية

﴿السلوقي الانكليزي﴾ قديم جداً في بلاد الانكليز ومن صفاته المستحبة ان يكون قصير الشعر ناعمة صغير الرأس طويل الخطم دقيقة واسع الشدين قويهما عريض ما بين الاذنين غير مفرط الغضف (أي استرخاء الاذنين) . وان يكون لون عينيه كلون شعره وعنقه مثل رأسه في الطول وكتفاه مائتين كثيرتي العضل . وان يكون طويل العضدين والفخذين قصير الساعدين متباعد ما بين اليدين والرجلين صلب الاصابع . اما ذنبه فيجب ان يكون قصير الشعر منحني في طرفه غير مفرط في الطول

﴿السلوقي العربي﴾ وصفه الجاحظ كما يأتي قال « ويصفونه بان يكون صغير الرأس طويل العنق غليظها وان يشبه بعض خلقه بعضاً وان يكون اغضف مفرط الغضف ويكون بعيد ما بين الاذنين ويكون ازرق العينين طويل المقلتين ناتي الحدة طويل الخطم واسع الشدين ناتي الجهة عريضها وان يكون الشعر الذي تحت حنكه كأنه طاقة ويكون غليظاً وكذلك شعر خديه ويكون قصير اليدين طويل الرجلين لانه اذا كان كذلك كان اسرع في الصعود بمنزلة الارنب . وينبغي ان يكون طويل الصدر ويكون ما يلي الارض من صدره عريضاً وان يكون غليظ العضدين مستقيم اليدين مضموم الاصابع بعضها الى بعض حتى اذا مشى او عدا او هوى جذراناً لا يصير بينها من الطين وغير ذلك مما يفسدها . ويكون ذكي الفؤاد نشيطاً ويكون عريض الظهر عريض ما بين مفاصل عظامه عريض ما بين عظمي اصل الفخذين اللذين يصيبان اصل الذنب

وطويل الفخذين غليظهما شديد لمهما . ويكون رزين المحمل رقيق الوسط طويل الجدة التي بين اصل الفخذين والصدر ومستقيم الرجلين ولا يكون في ركبتيه انحناء ويكون قصير الساقين دقيقتها كأنهما خشبة من صلابتهما . وليس يكره ان تكون الاناث طوال الاذنان ويكره ذلك للذكور ولين شعرها يدل على القوة »

﴿ السلوقي الايراني ﴾ للفرس عناية شديدة بالصيد وكلابهم السلوقية تختلف عن الكلاب العربية بطول شعرها وشدة نعومتها وهم يصيدون بها الظباء وبقر الوحش والحمر الوحشية ويستعينون في صيدها بالصقور والبزاة

ومن انواع الكلاب السلوقية الروسي او التتري وهو خشن الشعر ولونه في الغالب ابيض او سنجابي . ومنها اليوناني وهو قصير الشعر ناعمة ويصاد به الايل وكلاب السودان كلها سلوقية لكنها ليست من صنف جيد واحسنها في تلك البلاد عند عرب الشكرية على ضفاف نهر الاتبرة . وللاجنرال دوماس الفرنسي مقالة في مجلة المشرق الفرنسية وصف بها الكلاب السلوقية التي يقتنيها عرب المغرب وذكر شدة تعلقهم بها وعنايتهم بصغارها وطريقة صيدهم بها قال فيها ما ملخصه :

« لو شئت ان ابين ما عليه سكان الصحراء من عادات الاشراف واميال الامراء لآكتفيت بدليل واحد فقط وهو شدة تعلقهم بكلابهم السلوقية فانهم يعتنون بتربيتها وتوليدها اعتناءهم بتوليد عتاق الخيل وتربيتها فيسير الرجل منهم ثلاثين غلوة ليزوج كلبه بسلوقي مشهور واذا اتفق انها علققت من كلب آخر اسقط اجنتها وربما قتلها . وهم يطمون الجرو متى صار عمره اربعين يوماً فيطعمونه لبن الماعز والابل او التمر المطبوخ باللبن فاذا بلغ من العمر اربعة اشهر اخذه الصبيان وعلموه صيد الجرذان واليرابيع ثم صيد الارانب وصغار الظباء ولا يخرجونه الى الصيد مع الكلاب الكبيرة قبل ان يبلغ من العمر ١٨ شهراً . وطريقة صيدهم انه متى رأى صاحب الكلب سرباً من الظباء صاح به واداه اياها ثم اطلقه عليها فيجري الكلب وراءها ويتقي اكبر الظباء واتمها فيقبض عليه الى ان يأتي صاحبه ويذبحه ويطعم الكلب من اللحم الذي في الصلب على مقربة من الكليتين

» وكلابهم غالية الثمن فالسلوقي الذي يصيد الآدم من الظباء يشترونه ببيعير من كرام الابل والذي يصيد الرم وهو نوع من الظباء البيض ثمنه فرس من عتاق الخيل . واشهر سلوقياتهم عند اولاد سيدي شكر واولاد نايل والاربعة وغيرها من القبائل »

الصيد بها

الصيد بالكلاب السلوقية قديم جداً وكان اقدماء المصريين ولع به كما يستدل من الصور الباقية على آثارهم وطريقة صيدهم بها لا تختلف عن صيد العرب بالكلاب السلوقية في ايامنا . وكانت كلابهم مشهورة عند القدماء . قال اليناس ان كلاب مصر اسرع كلاب الصيد لكنها تخاف التماسيح كثيراً فاذا وردت النيل شاربة جرت على ضفته واخذت تشرب الماء وهي تجري خوفاً من التماسيح . ولا يزال الصيد بالكلاب السلوقية شائعاً في اوربا وبلاد الانكليز وعند الفرس والعرب ولهؤلاء ولع شديد به يصيدون البقر الوحشية والظباء والثعالب والارانب بالكلاب السلوقية ويعرف ذلك عندهم بالطرده فيطلقون على الطريدة كلباً واحداً او اكثر وربما اطلقوا عليها الصقور ايضاً فينقض الصقر عليها يضربها بمنقاره وجناحيه على وجهها فلا تدري كيف تذهب فتدركها الكلاب وتأخذها ويكون القانص وراءها اما راكباً فرسه او على قدميه . واشعار العرب في وصف الصيد كثيرة جداً

وكانوا اذا صادوا البقر الوحشية اطلقوا عليها كلبين او اكثر فاذا ادركتها الكلاب ارتدت عليها وقاتلتها . والبقر الوحشية التي في بلاد العرب طويلة القرون وهي من النوع المعروف عند الافرنج بالاوركس ويسميه العرب في ايامنا الوضحي

المفاخرة بها

وقد كان ملوك الشرق وامرائه عناية كبيرة بالصيد . قيل ان احد سلاطين المغول كان عنده عشرة آلاف من الفهود وان الصقارين والبراذرة والفهادين والكلابين الذين كانوا في خدمة الصقور والبراة والفهود والكلاب عند السلطان ييازيد الاول كانوا جيشاً يبلغ عدده اثني عشر الفا وان قلائد بعض الفهود كانت مرصعة بالحجارة الكريمة . اما الافرنج فلم يكن يسمح عندهم باقتناء الكلاب السلوقية الا للامراء والاعيان فكان من دلائل النبيل عندهم ان يكون للواحد منهم جواد وباز وكلب سلوقي لذلك قال الجنرال دوماس ان عناية اهل المغرب بالكلاب السلوقية من دلائل الكرم . وقد كان العرب يفخرون بهذه الكلاب ايضاً كما يستدل من كثير من اشعارهم وكان لها اسماء والقباب مشهورة عندهم . قال الجاحظ « ولكرامها وجوارحها وكواسبها واحرارها وعتاقتها انساب قائمة ودواوين مخلدة واعراق محفوظة ومواليد محصاة مثل كلب جذعان وهو السلهب بن البراق بن يحيى بن وثاب ومظفر بن محارش »

حفلة تأبين

المرحوم الدكتور يعقوب صروف

بدار الاوبرا الملكية

في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨

تأبين الدكتور صروف

تمهيد

« شعر رجال الثقافة العربية بخسارة فادحة منذ رحل الى الدار الآخرة رجل العلم والفضل والاستقامة المأسوف عليه الدكتور يعقوب صروف منشيء مجلة المقتطف. وقد حفزت المروءة جماعة من كبار المثقفين والمتأدين كما حفزت الصداقة في الزمالة وحفز التقدير رجال الصحافة فتألفت منهم لجنة جعلت غايتها الوفاء للرجل وقد ذهب شهيد جهاد طال عشرات السنين. وكانت أبرز فكرة عننت لهم ان يقيموا حفلة تأبين كبيرة يتبارى فيها العلماء في ذكر مناقب الفقيد العظيم » (١)

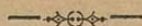
وقد « تهيأ للاحتفال الفخم الذي اقيم في مساء امس الاول بدار الاوبرا الملكية تأيئاً لفقيد العلم والصحافة المرحوم الدكتور صروف من مظاهر الروعة وآيات الجلال ما لا يكاد يتهيأ لغيره من حفلات التأبين واجتماعات الرثاء. ذلك ان كل من انتظمه هذا الاحتفال كان يحسُّ برابطة تربطه بالفقيد فاذا لم يكن صديقاً كان زميلاً وان فاتته هاتان الصفتان لم تفته الصلة الادبية التي كان المقتطف داعيتها للفقيد في مصر وفي غير مصر من الافطار العربية

« وكان الاحتفال بما جمع من كبراء المصريين وزعماء الامة واعلام الادب والبيان في مصر مظهرًا من مظاهر تكريم العلم وآية على الاعتراف بالجميل ومثلاً تضربه مصر في تقدير العاملين وتخليد اسماء العلماء » (٢)

وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر موعد هذه الحفلة فأخذ المدعوون اليها يفدون فيل تمامها وكان في مقدمتهم حضرات اصحاب الدولة والمعالي والسعادة عبد الخالق ثروت باشا رئيس مجلس الوزراء السابق ورئيس الحفلة الشرفي ومصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ويحيى ابراهيم باشا والوزراء الحاليين جميعاً والاستاذ ويصا واصف بك رئيس مجلس النواب واسماعيل صدقي باشا والاستاذ محمود بسيوني وكيل مجلس الشيوخ وكثيرون من أعضاء البرلمان واصحاب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة والسيد محمد

(١) عن جريدة البلاغ تاريخ اول ابريل (٢) السياسة تاريخ اول ابريل

رشيد رضا والشيخ عبد المجيد اللبان ومحمود صدقي باشا محافظ العاصمة ورشوان باشا محفوظ وكيل وزارة الزراعة وعبد الرحمن باشا رضا وكيل وزارة الحقانية واصحاب النيافة النائب بطريركي للروم الكاثوليك ومطران الارمن الارثوذكس ومطران السريان الكاثوليك وغيرهم من رجال الدين واللواء سليم موصلي باشا وانطون مشاقفة باشا والاميران ميشال وجورج لطف الله وقرينتها . وحضر الحفلة طائفة كبيرة من فضليات السيدات تتقدمهن حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي وكان حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس الاحتفال الشرفي يجلس في البنوار الايمن أما حضرات اعضاء الاحتفال فكانوا يجلسون على المسرح وفي مقدمتهم صاحب المعالي علي الشمسي باشا وزير المعارف العمومية ورئيس الاحتفال. وجلس على المسرح كذلك هيئة نقابة الصحافة وحضرات خطباء الحفلة وشعراؤها والدكتور العلامة فارس عمر وحضرة صاحب السعادة سعيد شقير باشا ، وكانت ارملة الفقيد واسرته تجلس في البنوار الايسر ومعها بعض السيدات



كلمة وزير المعارف

يا حضرات السادة : كانت الفكرة التي اوحت الى لجنة التأبين ان تسند رياستها الي هي ان الفقيد الكريم كان معلماً أمضى شطراً طويلاً من الحياة في خدمة العلم والادب . وقد قبلت هذا الشرف الذي ندبتي اللجنة له لتتمكن من التأبين الحق لهذا الراحل الكريم

لقد اخرج الفقيد رحمه الله تلاميذ عديدين ظلوا دائماً متعلقين به مستزينين من فضله فكانت مهمته مثلاً جميلاً لاحسن الصلات بين المعلم وتلميذه . واعتقد اني معبر عن شعور المصريين جميعاً فيما اعرب عنه من التأثير العميق والاسف الخالص لان الفقيد الكريم ادى اجل الخدمات للغة وكان اساساً متيناً في الصحافة المصرية وبعث منذ عشرات السنين نهضة فكرية لم تكن ظروف ذلك الحين توفق اليها

فبالاسف العميق اقدم التعزية الخاصة لاسرة الفقيد واهله ولاسرته العامة قراء المقتطف والمقطم الذين نشر عليهم كثيراً من آرائه القيمة ومباحثه الجليلة وأسأله تعالى ان يعوضنا خيراً في فقيدنا الكريم . واني اترك تفاصيل القول عن الفقيد الى خطباء الحفلة



المرحوم الدكتور صروف في مكتبه بداره في جاردن ستي



المرحوم الدكتور صروف في مكتبه بإدارة المقتطف والمقطم

مقتطف مايو ١٩٢٨

أمام الصفحة ٥٥٧

كتاب جامعة بيروت الاميركية

حضرة صاحب السعادة السر سعيد شقير باشا

ان الجامعة الاميركية في بيروت تود اليوم ان يكون لها شرف الاشتراك مع الذين يقومون باكرام ذكرى العلامة المأسوف عليه المرحوم الدكتور صروف وانا في هذا المقام الذي لا يسعنا فيه الا ان نشعر بعظيم الحسارة التي منينا بها بفقدته يتغلب علينا الشعور العميق بالاعجاب باعماله المجيدة ونغبط بما اوتيه في حياته من النجاح في تلك الاعمال العظيمة لخير الانسانية ونحن اذا ذكرنا الدكتور صروف فلا نذكره فقط كاحد خريجي الجامعة النابغين ولكن كرجل فذ بمقدرته الفائقة وسمو مبادئه واستخدام مواهبه العظيمة لخدمة وطنه وابناء عصره

وهو كرعيم كبير بين المتكلمين باللغة العربية قد بذل جهداً عظيماً في نشر العلوم العصرية بين ابناء تلك اللغة وفي تطبيق قواعدها على الاصطلاحات العلمية الحديثة وقد نقل الى الشرق روح الايمان والاعتدال كل ما يهيمه من الافكار والتجولات الغربية النافعة وبشخصيته الممتازة وذكائه النادر مع جده ونشاطه ومقدرته العظيمة على التأليف والكتابة قد ساعد على ازدياد حسن التفاهم بين الشعوب والاجناس المختلفة وعلى تقدم بلاده تقدماً مبنياً على اساس التمدن الوطيد

وانا تتحد اليوم مع الذين عرفوا الفقيه العظيم شخصياً او من كتاباته المنتشرة في احاء المعمورة بتقديم الاكرام اللائق لذكره الخالدة وتهلل قلبياً بما اوتيه من النجاح الباهر في خدمة الجنس البشري خدمة مبنية على حرية الفكر والتعمق في المعرفة والاطلاع مع سمو في الاخلاق والمبادئ الشريفة

نائب الرئيس

—0:0—

كلمة الدكتور منصور فهمي

استاذ الفلسفة في الجامعة المصرية

معالي الوزير : سيداتي . وسادتي :

اذا كان لكل انسان في هذه الحياة رسالة يجب ان يؤديها . اذا كان على كل انسان واجب يفرضه عليه نظام الجماعة ، او يفرضه هو على نفسه طائعاً مختاراً ليكون له

في بناء الانسانية نصيب واضح ، فان الفقيه الذي نحتفل الآن بذكره قد ادى الى الشرق العربي بأسره ، والى مصر بخاصة ، رسالة قيمة باقية الاثر . رسالة بدأها منذ حوالي خمسين عاماً . ولم ينصرف عنها الى عالم الخلود الا منذ شهر
لست أقصد في موقفي هذا الى تبيان تاريخ الفقيه مولداً ونشوءاً وشباباً وشيوخه ولا الى تفصيل تعلمه تلميذاً وتعليمه استاذاً ولا الى مراحل ارتقائه في مدارج العرفان مرحلة فمرحلة

انما اريد في هذه الدقائق المحدودة ان اشير الى صفات هذه الشخصية الشرقية التي خدمت العلم ، والآداب ، والفنون ، واللغة العربية ، خدمات كانت من اكبر عوامل النهضة الشرقية في زماننا الحديث

رسالة الفقيه توحى اليها كيف تكون المثابرة وكيف يخدم العلم وكيف تخدم اللغة العربية فاما المثابرة فما احوجنا لتكرار ذكرها والحث عليها بالاشادة بذكر من تخلقوا بها كم من صحف ومجلات تنشر وتطوى . وكم من همم كانت تهب هبوب العواصف ثم تركت . وكم من مشاريع ولا سيما في ذلك العهد عهد المقتطف كانت تؤسس في المساء لتذيب اساسها شمس الصباح . وفي ذلك العهد عهد التردد والتهيب أنشأ الفتى الهادي الوديع المتواضع صروف مع اعوان كرام صرحاً ممرداً من صروح العلم والفن والادب . انشاءً رويداً رويداً فجعل يضع كل يوم حجراً ويقيم كل شهر ركناً ، واذا بنا اليوم امام هذا البناء الشاخ الخافل بطرائف الثقافة ونتائج العقول

رجل لا يقرع الطبول لاعلان مواهبه والزهو بنفسه يدأب هذا الدأب وينقبض في الوصول الى غرضه السامي هذا الانقباض . رجل كهذا الذي نذكر ليس فقاعة من فقاقيع الماء تبدو منتفخة لماعة فاذا صادفتها نسمة انفجرت وبادت ، بل هو ركن متين صلب تقوم على كواهل أمثاله مدينت الشعوب ، ويجب ان يقتدي بأمثاله شباننا الذين يطمحون في المجد الصادق

ايها السادة : كان فلاسفة اليونان الاقدمون من الرواقيين يعملون خلة المثابرة في سبيل الحياة المعنوية والعلم اساساً للفضيلة . ذلك لانها دأب وكدح في غير لذائذ البدن ، ولانها رياضة للارادة على ان تسكن للمعاني دون ان تشغلها شواغل الحياة المادية وزخرف الدنيا ومتاعها

وهذا الذي نشيد اليوم بذكره كم صابر وجالد ، فضحى براحة الجسم في سبيل

الاستنارة والانارة . وكم ضنَّ على جسمه بهدآت الليل في سبيل التحصيل والاذاعة
وكم حرم نفسه لذة الرياضة واللهو والترف — وكل ذلك يسر له — وكم جهد في تحويل
ما وصل إليه من انوار العلم الى عقول الالوف من القراء

لسنا نزعم ان خدمة الفقيه للعلم كانت خدمة المستكشف او خدمة المخترع او خدمة
الذاهب في انواع التفكير مذاهب لم يسبقه اليها العلماء بل كانت خدمة الناصر والمذيع ،
وخدمة المنقب يبحث عن حاجات بلاده وقومه فيرضي هذه الحاجات بما ينقل الى
المتعطشين من ابناء الشرق من علم مهضوم ، وفكر واضح ، وثقافة تمثلت في صورة
عربية ، لا يابها ذوق لغتنا ولا تنفر منها طبائنا

ولم تكن حاجة البلاد العربية في ذلك الوقت الى علماء مبتكرين بقدر حاجتها الى
علماء يعممون بيننا معارف الغرب ويوطئون لنا منها ما عزَّ مناله

وتوطى العلوم والمعارف ليس هو بالعمل الهين ، وليس هو في ميسور كل مشغول
بالعلم ، ومن ذا الذي يستطيع ان يتصدى لختلاف العلوم ومتنوع الفنون والآداب ،
ليدني للناس قطوفها دون ان يكون هو نفسه واسع المعارف او موسوعة من المعارف

ولقد كان صروف ذلك العالم الذي اختص بانواع من العلوم كعلوم الكيمياء
والطبيعات والذي اصاب من اكثر فروع العرفان ما لا يجعله غريباً عنها ، اذا عرض
لنقل شيء منها الى ابناء العربية ، واذا صادفه باب او مؤلف لم يكن له به سابق عهد
لم يتردد لحظة في الجهر بان لا علم له به وذلك شأن العلماء الامناء

قرأت للدبيب العقاد في جريدة البلاغ ما يأتي : « لقيته (اي صروف) على
ارانتخاب برجسون للاكاديمي الفرنسية فحدثته في آراء هذا الفيلسوف والمقابلة بينه
وبين وليم جيمس الذي يعرف عنه الدكتور غير قليل فقال لي اني لم اقرأ شيئاً
لبرجسون هذا . ثم ضحك وقال أعجبك هذا الاعتراف ممن يسمون فلاسفة »

ايها السادة

كان الفقيه عالماً مدققاً محققاً مخلصاً للعلم لا ينحرف عن الطرائق العلمية في كتاباته
وباحثه لكنه مع ذلك ظل يرعى في وجدانه حرارة الايمان بالروح وعالمها الآخر .
كان واقفاً على العلوم المادية الحديثة وقوفاً دقيقاً لكنه لم يكن كبعض العلماء الماديين
يردون من المادة تعليلاً لكل شيء مبدأ ومصيراً ، بل كان رحمه الله لا يرى تناقضاً

بين ما كان يتصل بنفسه من نزعات روحانية وعلم مادي. ويتم على اتساع نفسه لحاجات العلم وحاجات الايمان قوله في منظومة طريقة

اما واجسامنا ليست سوى صور مشكلات بأشكال والوان
كهارب حركتها النفس فانتظمت في شكل مستودع للنفس جثماني
حتى اذا تم في الدنيا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني
وللتطور احكام مقررة والنفس والجسم في الاحكام سيان
لا بد للعلم من يوم يفوز بما يبين الحق فيه خير تبيان
وعلى هذا النحو من ارسال الفكر طلقاً يعدو وفق نظامه ونواميسه العلمية ووصل
القلب والوجدان بما يمهدهما الراحة في ظل الايمان. على هذا النحو من الثقة بالفكر
وقوته وخشوع النفس عند صخرة اللانهاية والابدية التي يرتد عندها الفكر حاراً. على
هذا النحو من تقدير طموح الفكر ونزوع القلب استطاع صروف ان يفسح في نفسه
مجالاً للتوفيق بين اصول العلم واصول العقائد. وعلى هذا النحو ثابر الفقيد في خدمة
العلم وعلى هذا النحو ارضى الفقيد نزعة العقائد

وهل لي ان اقول ان خدمة الفقيد للغة العربية لم تكن اقل شأنًا ولا اقل بروزاً
من خدمته للعلم من سبيل نشره واذاعته. ويكفي ان اقرأ لكم من الجزء الرابع من
مقتطف سنة ١٩٢٧ ما كتبه الفقيد في رسالة موجهة الى المعلمين في مدارس فلسطين
ليظهر مقدار حرصه على تكريم اللغة العربية بالناية بها وبتعليمها
قال رحمه الله « ان تثقيف العقل يتناول اموراً كثيرة اولها التوفر على تعلم اللغة
الوطنية او بذل المعلم همهته لكي يعلم تلاميذه لغتهم حتى يحسنوا فهمها وكتابتها لا لأن
اتقان اللغة يفيد المرء فائدة كبيرة كاتقان صناعة الطب او صناعة المحاماة بل لان من
يحسن لغته يزيد اكرامه لنفسه واعتزازه بها وبصير اقدر من غيره على فهم ما يقرأه
من العلوم والفنون الخ »

ولقد كانت النزعة التي تتم عنها هذه الكلمة توجي وحيها للفقيد مدة حياته العلمية
الطويلة. فان مجلة المقتطف التي انشئت في سنة ١٨٧٦ اي منذ اكثر من نصف قرن
قد ادت الى اللغة العربية خدمات تجل عن كل حمد وثناء. فمن ابواب في الفنون والعلوم
لم تكن مطروقة في لغتنا قد فتحت على مصاريحها في المجلة التي كان يتولاها الفقيد الى

الفاظ عربية قد استخدمها هو واعوانه للعبارة الى اساليب سهلة ممتعة في البحث والنقد وشتى فروع الثقافة ما زال الفقيه بها حتى جعلها اداة شائعة بين اقلام الكتاب والباحثين. وعلى الجملة فهذه المجلدات الضخمة من المقتطف التي تشبه ان تكون دائرة معارف عربية فصيحة العبارة جلية المعاني هي اليوم ثروة قد وهبها الفقيه للغة العرب وكان لها فضل عظيم على كثير من المثقفين الذين لا علم لهم باللغات الغربية وفي صقل كثير من الاقلام والالسنه التي كانت تحسن بعض اللغات الاجنبية ولكن لا تحسن لغتها القومية

لذلك حق على كل ناطق بلغة العرب ان يقدر جهود الفقيه الكريم في سبيل هذه اللغة ويشاطرنا اليوم تحيئنا لذكرى الراحل الجليل ويشاطرنا العزاء لاهله وذويه وعارفي فضله ولا سيما للسيدة البارة زوجه الكريمة التي ملأت عليه حياته سعادة قوت عزيمته في العمل وصديقه ورفيق صباه وعونه الوفي في الحياة الحافلة بالاثار الدكتور عمر ونسأل الله ان يمد في حياتهما لخير الرسالة القيمة التي أداها فقيدهما وفقيهنا وفقيه النهضة العلمية العربية خير اداء، رسالة تنطق بالمنابر وخدمة العلم بنشره واذا عتبه وخدمة اللغة بانماء ثروتها

ان صروفاً في شبابه وفي كهولته وفي شيخوخته خير مثال يحتذيه الشباب والكهول والشيوخ

كان صروف شجرة مباركة مثمرة للناس وما زالت دابئة على هذا البذل والامار « حتى اذا تم في الدنيا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني »

كلمة اسعد بك لطفي

رئيس نقابة الموظفين

معالي الوزير . سيداتي . سادتي :

التاريخ ابو العبر . وكل حياة تحيا وتموت ولها بداية ونهاية وكل نهاية لها غاية . وكل غاية لها مدى ومقر . وهو الاثر . والاثر الصالح اصله ثابت وفرعه في السماء . وخير الاثار ما دمه صاحبه يمينه . ومن الناس من يعيش ويفنى بغير آثار . ومنهم من رغم اصدقاءه واخوانه ان يذكروه ويمجدوه بعد الممات . وكان من هذا نفر الدكتور صروف

كان من البنائين الاحرار الذين كونوا مجدهم على سواعدهم : هبط ارض مصر

ومصر مهبط العلوم : فاقطف لها من ثمار المعارف حديقة غناء هي المقتطف . وقدمها اليها ولم يرض ان يكون ضيفاً ثقيلاً على اهلها فوظف نفسه في ادارة المقتطف وجعل نفسه موظفاً مستولاً وأحاط عمله بالحكمة والتبصر . وضرب المثل الاعلى في الاعتماد على النفس ولم يقتصر على ذلك بل كان كاتباً كبيراً وصحافياً قديراً وفيلسوفاً عظيماً وموظفاً أميناً . ولا انكلم في الثلاثة الاول بل عن الاخير فقط لاني انا الموظف الذي يعرف نتائجه

لم يكن صروف مما نال علاوة مادية يحسد عليها ولكنه نال اعلى الدرجات المعنوية فلقد كان مخلصاً في وظيفته فعاش فيها خمسين سنة او يزيدون . وما اطيب ان يصل الانسان الى مجد ويرى عمرة عمله بعينه وقد كان هذا شأن صروف فقد كان اداة عاملة بين الشرق والغرب ضرب للاخير مثلاً بان الشرقي شعلة من الذكاء وان الشرق مهبط العلم والحضارة . ذلك هو العمل الطيب الذي قام به واحسن من هذا انه عمل تحت ستر السكينة والتواضع فلم يرد ان يعلن بنفسه عن نفسه ولكن عمله اعلن عنه . لقد احسن صروف الى نفسه ووطنه والى اللغة العربية فليتلق في جوار ربه حسن جزائه واما اتم يا اسرة الفقيد الكريم فعزاء وصبراً

كلمة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز جاويز بك

مراقب التعليم الاولي بوزارة المعارف

ساداتي الاكرمين :

كلنا نجد مجال القول في فقيدنا الجليل كما نشاء ونتخيل من السعة والامتداد ولكن هل لدينا ذلك القلم او اللسان الذي يستطيع ان يحيط بشيء من مواهبه العالية وعلومه الغزيرة وادبه الجم وجهاده الاكبر ذلك الدهر الطويل الذي قضاه بيننا ؟
أو ليس من العبث ان يحاول احدا وصف علوم ذلك الاستاذ العظيم ومعارفه بعد اذ بلي في قيدها بنانه وفنى ما لا يحصى من اقلامه طوال ذلك العمر المديد ؟
أو ليس من العجيب ان يقوم احدا مقام التعريف برجل تعرف من قبل الى الدنيا العربية بسبعين مجلداً ضخماً من المقتطف حوت من العلوم والفنون والادب والمباحث القيمة ما اكسبه بحق مركز استاذ المعلمين وشيخ المربين ومفتي المستفتين في العالمين ؟
بذلك وحده تعرف الدكتور صروف الى الدنيا العربية فلم تسول له نفسه يوماً

ما ان يعلن بغير ذلك له اسماً أو يتصيد له شهرة وذكرأ. ولولا ما كان من صرير اقلامه الدائم في مقصوداته لكان مثله في بره الحفي بالعلم وجهاده الصامت في سبيل اللغة العربية مثل السيح السائب يصيب الارض الموات بلا خير يسمع فيحياها وينبت البهج من ازواجها

إذاً فليكن موقفنا ازاء الفقيد العظيم دائماً موقف المستعرض لبعض ما انفرد به من المزايا والفضائل والصفات التي كانت سر نجاحه العظيم في حياته الطيبة المباركة فان في ذلك من القدوة الحسنة والمثال الصالح ماسيكون نبراساً للمستضيئين ومناراً قائماً للمستهدين سادتي

اتنا لنحس كلما تصفحنا آثار فقيدنا العظيم. انه كان يشعر منذ بدء حياته العلمية ان من الجهل الاعجاب بالنفس وان من الافتتان بالرأي الانصراف عن الاستفادة والاستزادة وصدّ النفس عن مصافاة المخلصين والاستعانة بثمرات جهود الباحثين والمنقبين كما كان يعرف ان فوق كل ذي علم عليا وان الانسان مهما بلغ مبلغه من العلم لا يبلغ منه الا قليلاً

كذلك نحس انه برغم ما كان له في شبابه من العبقريّة والحدق والتفوق على زملائه ولداته لم يجد العجب والزهو سبيلاً الى نفسه البصيرة ولا مدخلاً الى قلبه الكبير. ولذا كان طول حياته ابعد الناس عن استجهاال الناس واحرص المحصلين على طلاب الحقائق والتماس مواطن العلم الصحيح فكان طاب ثراه كلما عرضت له مسألة لا ينفك راجع المؤلفات قديمها وحديثها باحثاً منقباً متحريراً وجوه الصواب موازناً بين ما قد يكون للعلماء من الرأي فيها. ذلك كيلا يقطع برأي في امر حتى يمتحنه من سائر جهاته امتحاناً رائده النظرات المنصفة والمعرفة الصادقة

ولقد كان لتنشئة فقيدنا الكبير العلمية الاولى اثرها في حياته العاملة فان ترعرعه في معاهد العلوم الرياضية والطبيعية والادبية جعل حياته العلمية والعملية فيما بعد حياة التحقيق والتدقيق والامانة والطمأنينة للحقيقة والرأي القاطع ولذلك عرفناه بغيضاً الى نفسه جو الادب الخيالي والشكوك المضللة والخيال الفاسدة كعرفناه في كتاباته صريحاً في مواطن الصراحة مقتصداً في النقد اميناً على الرواية متواضعاً في غير مسكنة

نحمل فقيدنا العظيم بهذه الصفات التي هي اهم صفات المصلحين والمعلمين فاستحق بذلك ان يشغل فيهم غير مدافع مكان الامام من المصلحين

اسس الدكتور صروف — ضاء مثواه — مقتطفه فاسس به اعظم جامعة سيارة للثقافة العربية تخرج عليه فيها الملايين من الناطقين بالضاد في اطراف الارض فيها كان المقتطف كان الاستاذ صروف حتى كما صروف والمقتطف كلمتان مترادفتان عرف الناس فقيدها العظم بالنفس الغلابة والهمة الوثابة والجلمد الحديدي والفوز بكل ما صبت نفسه اليه من جلائل الاعمال فهل عرفوا ان سر ذلك هو حبه للعلم واخلاصه له وعشقه للعمل واخلاصه فيه ؟

كم سمعنا بمجامع علمية وأدبية اقيمت في بلادنا للنظر في امر اللغة العربية ولحمايتها واصلاح ما فسد من امرها وكان يكون من اعضائها الدكتور صروف فهل ترى لها اليوم من باقية سوى آثار جهود هذا الرجل وجهاده الفردي . ألا لقد اختفت جميعها حتى لم يبق من معالمها في سبعين عاماً سوى ما لذلك الرجل الذي يجب ان نعتبه « وحده بحق » الاكاديمية العربية لذلك العمل الطويل

رأى الدكتور صروف ان العقول البشرية لا تنفك ترمى بمواليد جديدة ومبتكرات لاحصر لها وان السفائن والطائرات لا تنفك تقذف بمستحدثات الصناعات والمخترعات ثم رأى ان التجار والسامسة والوكلاء ومصالح الجمارك لا يحتجزون ما تبلغه ايديهم من السلع والعروض التجارية حتى تنعقد المجامع العربية لتتأمل فيما يلزم لها من الاسماء الجديدة اما بوضع جديد او احياء ميت او نحت او اشتقاق او اقتباس او تعريب بل رأى ان السلع والعروض والعقاير والمآكل والمشارب سرعان ما تجد سبيلها بما رافقها من الاسماء الى المنازل والحوانيت والمعابد والابدان والاجواف غير منتظرة ما تفعله المجامع ولا مبالية ما تكون عاقبة مركزها ازاء الفطاحل من اعضائها

رأى الدكتور جميع ذلك فلم تبق له غيرته على لفته — واللغات حياة الامم — ان يتقيد بحياة تلك المجامع او يقف جامداً لا يتحرك ازاء غارات اللغات الاجنبية والتيارات الجارفة العلمية والصناعية بل تصدى لمقابلة الضرورات المختلفة بما رآه من العلاج ونحن وان كنا نخالفه في بعض رأيه لا بد لنا ان نسجل له في هذا المقام خالد الشكر على ما احتمل في ذلك من المساعي المبورة التي انقرد بها برّاً باللغة العربية واحساناً الى اهلها وبرهاناً عملياً على سعة نطاقها وغنى كنوزها وكل صلاحيتها للترجمة عن كل ما تلهه العقول الانسانية من المبتدعات والمبتكرات في مختلف اطوارها ودرجاتها فلقد طوق العالم العربي بذلك منة لا يحزبه عنها الا الله الذي وفقه اليها

سادتي : لقد كان يكون الرزء في استاذ العرب الدكتور يعقوب صروف مما لا يحجل عليه الصبر والفراغ الذي احداثه اختفاؤه مما لا يرجى ان يملا لولا انه طاب ثراه قد ترك للامة العربية في جملة ميراثه العظيم ذلك الخلف الصالح فؤاد افندي صروف فلقد استخلفه على منبره العام بعد اذ انتبه نباتاً حسناً فخلقه باخلاقه المرضية وزوده بعلمه الواسع وابرزه للناس في صورته الطيبة فلندع الله ان يرزقه من التوفيق والنفع ما رزق عمه من قبل حتى لا ينقطع عن الامم العربية صالح عمله ولا ينطمس عن الابصار نافع اثره

مرثية احمد شوقي بك

سماؤك يادنيا خداع سراب
وما انت الا حيفة طال حولها
وكم ألجأ الجوع الاسود فأقبلت
قعدت من الاظمان في مقطع السرى
وجدت عليهم في الوداع بساخر
أقاموا فلم يؤنسك حاضر صحبة
تسوقين للموت البنين كقائد
رأى الحرب سلطاناً له وسلامة
ولولا غرور في لبانك لم يجد
ولا كنت للاعشى مشاهد فتنة
ولا ضل رأى الناشئ الغر في الصبا
ولا حسب الحفار للموت بعد ما
يقولون يرثي كل خل وصاحب
جزيتهمو دمعي فلما جرى المدى
كفى بذرى الاعواد منبر واعظ
دعوتك يا يعقوب من منزل البلاء
اذكر الدنيا وكيف ولم يزل
حملنا اليك الغار بالامس ناضراً

وارضك عمران وشيك خراب
قيام ضباع او قعود ذئاب
عليك بظفر لم يعف وناب
ومروا ركاباً في غبار ركاب
من اللحظ عن ميت الاحبة نابي
ومالوا فلم تستوحشي لغياب
يرى الجيش خلقاً هيناً كذباب
وان آذنت اجناده بتياب
بنوك مذاق الضر شهد رضاب
وللمقعد العاني مجال وثاب
ولا كرت بعد الفرصة المتصابي
بنى بيديه القبر الف حساب
أجل انما اقضي حقوق صحابي
جعلت عيون الشعر حسن نوابي
وبالمستقلها لسان صواب
ولولا المنايا ما تركت جوابي
لها اثرا شهد بفيك وصاب
وسقنا كتاب الحمد تلو كتاب

وما انفكت الدنيا وان قل لبثها
 الا في سبيل العلم خمسون حجة
 قطعت طوالى ليها ونهارها
 رأى الله ان تلقى اليك صحيفة
 ولم تتخذها آلة الحقد والهوى
 مشينا بنوري علمها وبيانها
 وعشنا بها جيلين قت عليهما
 رسائل من عفو الكلام كأنها
 هي المحض لا يشقى به ابن تيمية
 سهول من الفصحى وقفت بها الهوى
 وما ضعت بين الشرق والغرب مشية
 فلم أر اتقى منك سمعة ناقل
 وكم اخذ القول السري مؤرّب
 وفدت على النصحى بخيرات غيرها
 وقدماً دنت يونان منها وفارس
 تبثت للعلم الشريف كأنه
 وجشمت ميدان السياسة فارساً
 وكنا وعر في شغاب فلم يزل
 رأى الثورة الكبرى فسل يراعه
 وما الشرق الا اسرة او عشيرة

لسان ثواب او لسان عقاب
 مضت بين تعليم وبين طيلاب
 بأمال نفس في الكمال رغب
 فنزعتها عن هوشة وكذاب
 ولا متدى لغو وسوق سباب
 فلم نسر الا في شعاع شهاب
 معلم نشء او امام شباب
 حواشي عيون في الطروس عذاب
 غداء ولا يشقى به ابن خضاب
 على ما لديها من ربى وهضاب
 كما قيل في الامثال حجل غراب
 إذا وسم النقل الرجال بعاب
 فما رده لاسم ولا لنصاب
 فوالله ما ضاقت مناكب باب
 وروما فخلوا في فسيح رحاب
 حقيقة توحيد وانت صحابي
 وكل جواد في السياسة كابي
 بنا الدهر حتى فض كل شهاب
 لتحطيم اغلال وفك رقاب
 تلم بنها عند كل مصاب

سلام على شيخ الشيوخ ورحمة
 ورفاق ریحان روح ويغندي
 وذكري وان لم تنس عهدك ساعة
 وويح السواقي هل عرض على البلي
 وهل صن ماء كان فيه كأنه

تحدّر من اعطاف كل سحاب
 على طيبات في الخلال رطاب
 وشوق وان لم تفكر باياب
 جبينك ام سترنه بحجاب
 حياء بتول في الصلاة كعاب

ويا حياة لم تدع غير سائل أكانت حياة ام خلية داب
واين يدُ كانت وكان بنائها راعة وشي او راعة غاب
ولهي على الاخلاق في ركن هيكل يطن الرثى رث المعالم خاني

نعيش ونمضي في عذاب كلذة من العيش او في لذة كعذاب
ذهبنامن الاحلام في كل مذهب فلما اتينا فسرت بذهاب
وكل اخي عيش وان طال عيشه تراب لعمر الموت وابن تراب

كلمة الأنسة « مي »

هناك على ساحل البحر البعيد، حيال جبال لبنان السماء، تقوم ابنية الجامعة
الامريكية بيروت. وبين تلك الابنية وامامها تمتد الساحات الفسيحة تتخللها طاقات
خضراء من اشجار الصنوبر، ولا تقف الامواج المتعاقبة تلثم حوافها ليل نهار
هناك كان الطالب يعقوب صروف ينزه في ساعات الفراغ مع صديق الطالب
فارس عمر فيتذاكران في الدروس، ويتبادلان الآراء مسرحين الطرف في ذلك
المرج الازرق المتحرك. فهل يا ترى كانت تنطلق اشباح احلامها الى الامام فيشرفان
على وقائع المستقبل؟ اكان الصديقان يعلمان انهما بعلمهما وجهودهما سيصبحان قطبين
عظيمين بين اقطاب رجال المشرق؟ اكانا يدريان — ومصر يومئذ كسوريا ولبنان،
قطعة من الدولة العثمانية — انهما سيجوزان البحر الى الجانب الآخر من الوطن
الكبير، فيشيدان اثرًا علميًا له من الشأن ما يجلي في هذه الاعوام الخمسين؟ اكانا
يشعران بانهما سيشهدان ساعة التمجيد والتعظيم في يوبيل المقتطف، وان تلك الساعة
ستكرر ولكن في اسي واكتئاب، بعد رحيل الدكتور صروف؟

في مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ عامين الا شهرًا واحدًا، اجتمعنا هنا للاحتفاء
بعيد المقتطف الخمسيني، وكانت هذه الدار داوية باسم صروف. في وسط هذا المسرح،
كان ينتصب تمثال فاخر جادت به اريحية المهاجرين الى الديار الامريكية من السوريين
والبنانيين. وحيال التمثال الصامت الجامد كن من مصر شخص حي نابض تكوّن من
مثل صاحب العرش، ومن جميع الهيئات الرسمية والاحزاب السياسية، والنزعات
الفكرية. تبعت تركيا المقدور من تاريخ تطورها فصارت لهذه الاقطار صديقة بعد ان

كانت سيدة . فاذا بك يا مصر ، تتحركين تحرك الاسود ، وتبوين المكانة المعدة لك بين اقطار الشرق الادنى ، وتتولين الزعامة في رفع شأن العلم وتقدير الفضل كما انت زعيمة في الصيحة العالية للحرية والاستقلال وكما انت زعيمة في الدعوة الشريفة الى الوحدة الوطنية والقومية !

وعندما نهض الدكتور صروف يلقي كلمة الشكر — ساحوئي ، ايها الخطباء والشعراء ! — كان اجمل من كل خطبة وكل قصيدة وكل نشيد ، موقف ذلك الشيخ الجليل الوديع الممتلئ شباباً على طول عهده بالحياة ، الممتلئ يقظة على طول عهده بالجهاد ، الممتلئ نشاطاً علمياً وعملياً على ما اوهى العمل من خيوط قلبه ، وافنى العلم من ذرات دماغه

تكلم متأثراً ، فادركنا في لحظة كم هو قاسى في وحدته الفكرية ، وكما كان ثباته عظيماً في انزوائه العلمي . فكان حقاً ان نحين ساعة الانصاف . كان حقاً لذلك العامل العظيم في ميدان الثقافة الشرقية ان يسمع قبل الرحيل صوت مصر والشرق متألفاً من جميع الاصوات ، منسوجاً من جميع الافكار ، متوحداً من جميع القلوب !

ولكني لا اخشى المصارحة بان ذلك الاحتفال على جلاله ، كان ناقصاً من احدى نواحيه . لقد كان وجود المرأة فيه محسوساً ، ولكن واحدة منا لم تقف على هذا المنبر . مع ان الدكتور صروف الذي كان مجدداً في اسلوب الانشاء ، وطريقة التفكير ، وصيغة التعبير ، وتقديم الغذاء العلمي من مكنونات الشرق ومبتكرات الغرب جميعاً ، كان مجدداً في احترام المرأة والدعوة الى تعليمها وثقيفها ، في نشر ما ثرها وارشادها الى واجباتها ، في العطف على يقظتها وفي حث الاقلام النسائية على الكتابة والافصاح والادلة على ذلك عديدة في المقتطف منذ نشأته . فمن باب تدبير المنزل الى باب شؤون المرأة وتدبير المنزل ، الى باب شهيرات النساء المتفوقات في علم او فن او عمل ، سواء من نساء الماضي والحاضر في مختلف الامم . وقد قامت بتحرير هذا الباب حيناً ما السيدة ياقوت صروف ، قرينة الفقيد الكبير كما كتبت في المقتطف المرحومة السيدة مريم عمر مكاربوس والمرحومة السيدة رحمة صروف . وترجم الدكتور صروف فيما ترجم ، رواية وضعها بالانجليزية السيدة ليلي هانم كريمة المرحوم خليل باشا شريف ، احد وزراء الدولة العثمانية سابقاً واخي المرحوم علي باشا شريف رئيس مجلس شورى القوانين السابق . وغني

بطائفة من اهم الكتب العربية والافرنجية لمعالجة الموضوعات النسائية، وإيّد قاسم أمين في كتابيه عن تحرير المرأة كما عاد الى ذلك الموضوع الرئيسي من دعوة قاسم بعد وفاة زعيم اليقظة النسوية في وادي النيل

كذلك يبدو اكرام الدكتور صروف للمرأة في رواياته التأليفية الثلاث : « فتاة مصر » و « غادة الفيوم » و « اميرة لبنان » ، حيث جعل لكل من البطلات شخصية كبيرة جذابة جمعت بين جمال الانوثة ، ورقة العواطف وعلو الادراك ، وسعة المعارف ، وثقافة المواهب مع الصيانة الاخلاقية . وكل ذلك دليل على ان في خياله مثلاً أعلى للمرأة اراد ان يثبت في عالم المحسوس . وقد اثبتته في الواقع بعنايته بكريماته الثلاث وتثقيفهن وتعليمهن على خير مثال فجاءت كل منهن نوراً في محيطها . وتيسر له ذلك بميله الفطري وبمساعدة المرأة الفاضلة التي من الله عليه بها شريكة لحياته . فاني اذكر اتاعند ما كنا في مجالسنا نتحدث عن الحجارة الكريمة ، كان الدكتور صروف يبتسم قائلاً : « اما انا فيعجبني الياقوت ، وعندي منه شيء كثير ! »

وكيف انسى تشجيعه لي والحاحه الشديد عليّ بالكتابة ، وافساحه صدر المقتطف لكل ما نشرته فيه عن الكاتبات بالعربية وعن اليقظة النسائية ؟ فهو الذي بعد ان نقل تأييني لباحثة البادية يوم وفاتها ، اقترح عليّ ان اخلص للمقتطف آراءها ودعوتها الاصلاحية . واذ هممت بالكتابة وجدت ان فصلاً واحداً يضيق دون المراد ، فكان الفصل سلسلة فصول هي الاولى في اللغة العربية كتبت على طريقة البحث الحديث عن كاتبة عربية بقلم كاتبة عربية . ولما رأيت الباب مفتوحاً تابعت الكتابة عن الشاعرة المصرية عائشة عصمت تيمور وعصرها ووسطها ، وعن الادبية اللبنانية وردة اليازجي وشعرها ونثرها . ثلاثة كتب ، على عيوبها ، اظنها الوحيدة من نوعها في تاريخ الآداب العربية . والفضل فيها للدكتور صروف الذي رفع موضوع المرأة الى جانب الموضوعات العلمية والفلسفية واللغوية والتاريخية في مجلته الخطيرة وبذلك انالني أنا شخصياً ، وناال المرأة الشرقية عموماً ، عدوبة عطفه وشرف عنايته . وعود العلماء والعطاء وجمهور القراء قبول الموضوعات النسائية كاهم ما هو حري بالبحث والالتفات

فاذا ما احصيت ماثر هذا العالم الحكيم لم تكن هذه المأثرة اقلها . ويوم يذكر التاريخ الحق المنصف اسماء منشطي اليقظة النسائية والعاملين لها ، تحم ان يكون للدكتور

صروف بينها مكان ، وكان بخدمته هذه كما بخدماته الأخرى ، في طليعة الخالدين

ذكرت الخلود ، أيها السادة والسيدات . وهي كلمة طالما تداولناها في الأعوام الأخيرة ، فما هو تعريف الخلود ، ومن هو الخالد

أما خلود النفس بعد الموت فينبثق من العقيدة الدينية وهو سر سحيق في كل ضمير حي وحاجة صميحة لا تقوم مقامها حاجة . وقد كان هذا الموضوع شغل الدكتور صروف الشاغل طول حياته . ولكن الخلود بمعناه المدني أو العلماني - ان صح هذا الوصف - أي خلود الشخصية في هذا العالم بين بني الإنسان - ترى ماذا نعني به عند ما نشير إليه اهو بقاء الاسم الخالد متكرراً على اللسان تتجاوب به الأصداء على توالي الاحقاب ؟ أمعناه أن مبادئ الشخص الخالد وتعاليمه تظل شائعة بين أبناء الأجيال الآتية تزيك منهم الهمم ، وتنيلهم المعلومات والفوائد ، وتوحي اليهم حب النشاط والعمل ؟ أم معناه أن بين ملايين الأسماء المنسية في هاوية الزمان ، هناك أسماء تظل خافقة كالرايات ، مضيئة كالمنار ، هادية كالأعلام في الصحراء ، مشجعة كاصوات الحب والحياة قد يكون للخلود في هذا العالم بعض تلك المعاني أو كلها . ولكن لدي عن الخلود فكرة أخرى استميتكم في الإفضاء بها اليكم

الخالد في تقديري هو الذي خطا بخطا مجماعة خطوة حاسمة في الميدان الذي تفوق فيه . الخالد هو الذي جعل وسطه ، بفضل جهوده ، خيراً مما كان قبل ولادته . الخالد هو الذي ثقف وأعلى جانباً من الشخصية العامة ، فكان له في تكوينها اثر لا تمحوه الأعوام والدهور وتلك الخطوة العلمية والثقافية التي خطاها الشرق في نصف قرن على يد المقتطف ، هي التي نسجلها للدكتور صروف في توديعه كما سجلناها من قبل في تحيته . انه خالد بها لانه عمل في تكوين الشخصية العامة وأهلها للتقدم في مراحل التاريخ والعمران فلا تطرقي حزناً واسى ، يا زوجة صروف انت التي قاسمت ساعات الحياة في الوانها البهجة والقائمة وطعومها المريرة والسائغة . بل تعالى نسر بالخيال لزيارة ذلك الضريح البعيد في ظل الفصون . وبيننا تتعاون ايدي الرجال القوية النبيلة على ضفر اكيل التكرم والتقدير للفقيد الكبير ، فلنقدم له نحن ، بالنيابة عن المرأة الشرقية ، زهرة الشكران مبللة بدموع القلب ولنودعه بهذه الكلمة الشهيرة ليفكتور هو جو :

« آيتها الشمس المتغية وراء الافق ، ان اشعتك باقية الانوار ! »

كلمة نقابة الصحافة القاها الدكتور هيكل بك

رئيس تحرير السياسة

أيها السادة : في هذا المكان نفسه ومن ستة أسابيع مضت كنا نؤن صحفيًا من اعلام الصحافة اغتاله الموت وهو في ميدان الشرف يناضل نضالاً سياسياً عنيفاً . كنا نؤن صديقنا وزميلنا المغفور له أمين بك الرافي الذي سقط شهيداً في جهاده السياسي وما يزال في عنفوان القوة وفي صدر العمر . وها نحن اليوم نؤن عالماً آخر هو المرحوم المغفور له الدكتور يعقوب صروف فنذكر اذ نؤنبه شيخاً من شيوخ الصحافة قضى حياته في خدمة العلم من طريقها لم يعرف الكلال ولا السأم الى نفسه سيلاً . شيخاً كان في مثابرته وصبره على بث الفكرة العلمية التي تحتاج الى الوقت الطويل ماكانه أمين الرافي في اندفاعه القوي لتحريرك الجماهير

وليس منا من يذكر يعقوب صروف ومثابرته وصبره الطويل ولا يذكر أنا في هذا المكان نفسه ومن سنتين مضتا كنا نحفل بيوبيل المقتطف الذهبي لانقضاء خمسين سنة على جهاد الدكتور صروف العلمي والاجتماعي من طريق الصحافة ويذكر حين ذكر هذا اليوبيل كيف اشترك قراء العربية جميعاً في انحاء العالم المختلفة فيه اشتراكاً قلبياً دل على صدق تقدير قراء العربية جميعاً لهذا المجهود المجيد الجليل

والواقع ان حياة المغفور له الدكتور صروف تتلخص في مجلة المقتطف . فلقد عاش هذا الرجل صحفيًا بمعنى خاص غير المعنى الذي يتبادر الى الازهان من كلمة الصحفي . عاش صحفيًا متخصصاً لناحية معينة هي نشر العلم وتوطئته على لسان الصحافة . ولذلك يعجب كثيرون اذ يقال لهم ان الدكتور صروف لم يكن له اشتراك فعلي في تحرير جريدة المقطم التي يظهر اسمه عليها . وانه لم يعن يوماً من الايام عناية الصحفيين الذين يحررون الصحف اليومية بالشؤون السياسية ويعجب كثيرون كذلك اذ يقال لهم ان كل سطر من سطور مجلة المقتطف كان لا ينشر قبل ان يقف الدكتور صروف على كل شؤون نشره فهو الذي يضعه في المكان الذي يختاره من المجلة . وهو الذي يصححه التصحيح الاخير فاذا ظهر المقتطف كان اذن صورة نفسية للدكتور صروف اثناء الشهر الذي سبق ظهوره وكان مطبوعاً بطابع الدكتور صروف العلمي الدقيق

لم يكن الدكتور صروف اذن صحفيًا سياسيًا ، ولم يكن يعني في حياته الصحفية

بشيء عنايته بالشئون العلمية ، فهو اذن كان صحفياً اختصاصياً ، ان صح اطلاق هذا التعبير على الصحفيين كما يطلق على الاطباء أو على المهندسين وقد تخصص لهذا حتى ملك عليه العلم منذ اول تخرجه من الكلية الاميركية ببيروت كل نفسه فرأى فيه القوة المحركة لحياة الافراد ولحياة الجماعات . ولما كان الشرق اول نشأة هذا الرجل بعيداً عن تمثل الروح الغربية تمثيلاً يكون لنفس طبقات المتعلمين فيه فقد أخذ صروف نفسه بان يجعل الصحافة اداة نشر هذا العلم الذي احبه حباً جمّاً . والصحافة اداة قوية في تعميم العلم وتوطئته قوتها في نشر كل ما يختص بحياة الجماعة من اسباب التفكير والشعور وفي سبيل نشر العلم من طريق الصحافة قضى الدكتور صروف حياته بين جدران مكتبته يطالع وينقب ويتابع تطور العلم وما يجد فيه من الآراء والمكتشفات ليحياها على الناس في المقتطف وهو في هذا كان مخلصاً للعلم والصحافة وهما محبوبان مستبدان يستفدان من الخالص لهما كل هباته وصحته وقوته وهو بذلك راض كل الرضا مقبلاً أشد الاغتياب . وان الذين رأوا الدكتور صروف في مكتبته آخر حياته وقد جلل الشيب رأسه وعجزت ضجة العالم الخارجي عن ان تصل الى مسمعه ، والذين شهدوه وهو يقالب في صحف كتبه بشغف وشوق يزيدان اضعافاً مضاعفة على تقليب الكثيرين اجمل الصور واعطر الرياض والذين لاحظوا انكباؤه يكتب للمقتطف ثم انكباؤه على تجارب صحف المقتطف قبل طبعها يعيد عليها آخر نظراته لتصحيحها هؤلاء جميعاً يقدرون مبلغ ما ملك العلم وما ملكت الصحافة على ذلك الرجل حياته ، ويقدرون مبلغ ما تحكم العلم وما تحكمت الصحافة في وجوده تحكماً استبدادياً محبوباً ، ويقدرون مبلغ اخلاصه للعلم والصحافة اخلاصاً لم تشبه قط شائبة

ومحبة العامل عمله واخلاصه له هما أيها السادة قوام نجاح العامل ونجاح العمل جميعاً فاذا مدت المقادير للعامل في حياته فزاده ذلك محبة لعمله واخلاصاً له ثم كان عمله متصلاً بالعلم ونشره فذلك سر القدرة وسر تقدير الناس بل تقدير التاريخ للرجل وعمله . ولقد قضى المغفور له الدكتور صروف اكثر من خمس وخمسين سنة في جده الصحفي لنشر العلم فاعترف العالم له في حياته بفضل هذا الجهاد العلمي اجمل اعتراف وهو لاشك سيعترف له بعد وفاته بهذا الفضل اعتراف واصدقه . وان اسرة الصحافة التي شرقتني نقابتها بالقاء هذه الكلمة بالنيابة عنها لتشعر لفقد المغفور له الدكتور صروف با كبر الاسى وترجو الله له الرضوان بمقدار اخلاصه الجهم المتواضع للعلم والصحافة

مرثية حافظ بك ابراهيم

أبكي وعين الشرق تبكي معي
 جرى عصي الدمع من أجله
 نقص من الشرق ومن زهوه
 ليس لمصر في رجالها
 مصاب صرّوف مصاب النهى
 كُرم بالأمس وأكفانه
 يا صائغ الدرّ لتكرمه
 قد زين العلم باخلاقه
 تواضع والكبر دأب الفتى
 تواضع العلم له روعة
 وحلة الفضل لها شارة
 يشع من حصل من علمه
 مبكراً تحسبه طالباً
 قد غالت الأسقام أضلاعه
 مات وفي أمه صارم
 صاحبه خمسين عاماً فلم
 موفق أنى جرى ملهم
 لم يبره بار سوى ربه
 في النقل والتصنيف اربى على
 أي سبيل للهدى لم يرد
 يقتطف الزهر ويختاره
 فتحسب القراء في جنة
 صروف لا تبعد فلسست الذي
 اسكتك الموت ولكنه
 ذكراك لا تنفك موصولة

على الارب الكاتب الامعي
 فزاد في الجود على الطيع
 فقد اليراع المعجز المبدع
 حظ ولا للشام في أروع
 فليكه كل فؤاد يعي
 تنسجها الأقدار للعصرع
 صفه لمنعاه من الأدمع
 فعاش ملّ العين والمسمع
 خلا من الفضل فلم ينفع
 ينهار منها صلف المدعي
 أزهى من السيفين والمدفع
 وهو من التحصيل لم يشع
 يسابق الفجر إلى المطلع
 والرأس في شغل عن الأضلع
 لم ينب في الضرب عن المقطع
 يخن له عهداً ولم يخدع
 ماضل في الورد عن المشرع
 ولم يحزه جاهل او دعي
 مدى ابن بحر ومدى الاصمعي
 وأي باب منه لم يقرع
 كالنحل لا يعفو عن الاينع
 عقولهم في روضها ترتعي
 يطويه طاوي ذلك المضجع
 لم يسكت الآثار في الجمع
 في معهد العلم وفي المصنع

شكر اسرة الفقيد

بلسان صاحب السعادة السر سعيد باشا شقير

« ما اكرم هذا الشعب واطيب عنصره وما اشرف خدمة هذا البلد وأمرها »
هذه هي الكلمات التي فاه بها لي المرحوم الدكتور صروف في آخر يوم من شهر ابريل
منذ نحو سنتين ونحن خارجون معاً من هذه الدار عقيب الاحتفال بعيد المقتطف الذهبي
ثم زاد على ذلك قائلاً :

« ترى أنستحق يا سعيد هذا الاكرام وهل لنا حقيقة في مصر والشرق مثل هذا
المقام — وهل ما فعلناه يستوجب حفلة باهرة كالتي شهدناها يضعها جلالة الملك فؤاد
تحت رعايته ويرأسها وزير من وزرائه ويشترك فيها الامراء وسائر الوزراء وعظماء البلاد
ونوابها وادباؤها على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ويبعث اليها سعد على رغم اعتلال
صحته بكلمة يقول فيها ما قاله في المقتطف ومنزلته في مصر واثره في تقويم الافهام
وثقيف الازهان »

ثم صمت هنيهة ونحن سارون معاً وعاد فاستأنف الكلام مجيئاً بنفسه عما كان
شاكاً فيه فقال :

« كلاً — بل هذا الشعب كريم وقادته وكباره واصحاب الكلمة فيه اكرم فهم في
خدمة العلم والعمل على نشره في البلاد يعطون ديناراً بدرهم وأخاف ان اكون قد
قصرت في اداء واجب الشكر لهم في الحفلة. ولا يُخرس اللسان مثل الشعور العميق بالجميل
« ولكن يجب ان نحسن العمل اكثر وان نستمر على وقف اقلامنا ومواهبنا
وارواحنا في سبيل خدمتهم ولا ندّخر وسعاً في تقويم الافهام وثقيف الازهان كما قال
سعد لتبقى موضع ثقتهم ولكي لا يعتقد احدهم انه اخطأ في ظنه بنا فنسقط من المرتبة
التي وضعونا فيها واذا لم يمد الله في اجلنا فتقومون اتم يا ابناء ناواخواننا بهذا الواجب »
هذا ما صحت عليه عزيمته بعد تلك الحفلة وذلك الاكرام وهو ان يداوم الجهاد
على رغم الخامسة والسبعين من عمره في خدمة الادب ونشر العلم في هذا القطر بواسطة
المقتطف وسواء من المؤلفات مما كان قد اخذ له العدة وجمع الأهبة . ولكنه كان
يخشى ان لا يمد الله في عمره الى ان يحقق امانيه ويوفي مصر وابناءها دين الجليل الذي
اسدوه اليه فاوضانا نحن بايفائيه ووضعه في اعناقنا

ولم تكن مخاوفه في غير موضعها فلم يأت العام الثاني على تلك الاقوال حتى كان ماخاف ان يكون ومضى في سبيل من مضى قبله

وقفت هذا الموقف وفي هذه الدار منذ نحو سنتين نائباً عن متخرجي جامعة بيروت الاميركية اشارك الجمع بتكريم الراحل العزيز وتهنئته بعيد المقتطف الذهبي وانا متهلل الوجه باسم الثغر مغتبط اني ابن الجامعة التي تخرج فيها هو كان الاكرام الذي ناله بالحقي شيء منه بسبب صلة الادب والنسب بيننا

واليوم اتف في الدار عينها ضيق الصدر منقبض الوجه نائباً عن اسرته وذوي قرابه الذين انا واحد منهم لا للاحتفال بعيد آخر له بل للبكاء عليه وسماع اقوال الخطباء والادباء في تأييده ولتقديم واجب الشكر لكم لمؤاساتكم لنا في احزانا والعطف علينا في مصابنا وشتان بين الوقفتين

وكاني بروحه تاجيني في موقعي هذا من عالم الغيب وكأني به يخاطبني قائلاً :
«الم اقل لكم ما اكرم هذا الشعب واطيب عنصره — رفعوا منزلي حياً الى مستوى لا استحقه. وهذه حفلة اخرى لا تقل عن تلك عقدوها وانا جثة هامدة في الضريح وأخذوا يبالغون فيها بالحقير من اعماله وبعددون لي من المناقب والصفات ما كل اديب منهم اولى به مني»

«يفعلون ذلك كرمًا وفضلاً منهم جبراً لنفوسكم الكسيرة وتعزية لقلوبكم الجريحة وتخفيفاً لاجفان قريني المقروحة واجفانكم فكيف تكافئونهم على هذا الصنيع؟»
ايها الحليم العزيز والراحل الكريم ان القوم لا ينتظرون مكافأة على صنيعهم هذا فهم اكرم اخلاقاً واطيب عنصراً حتى مما ظننت وان كان ظنك في كرم اخلاقهم واطيب عنصرهم اقصى ما ينتهي اليه تصور الفكر البشري في كرم الخلق واطيب العنصر. ومكافأتهم كمكافأة كل كبير النفس كريمها — سرورهم بما شرحوا به صدرك حياً وخففوا به من آلام ذويك حزناً عليك من بعدك

ولكننا على كل حال سنعمل كما تريد في خدمة هذا البلد العزيز الذي جعلناه وطننا كما جعلته وطنك وسيضم تربة رفاتنا كما ضم رفاتك

وها هو ذا اخوك الروحي وشريكك الذي وضعت يدك بيده منذ عهد الصبا قد استمر في الجهاد على رغم سنه واعتلال صحته وهو ومن معه ممن درّ بهم على العمل ساهرون على اداء الواجب لا يخونون لك عهداً ولا يخالفون ظناً

وها هو ذا ابن شقيقك وقد اريتہ معالم الطريق حياً قد أخذ المقتطف على عاتقه
مثالاً يحتذيه وجعل خطاك في الحياة والعمل أثراً يقتفيه

ونحن الباقين من ذويك وذوي قرباك وان لم نكن ارباب قلم فسنشجذ الهمة
ونقوم بنصيبنا من العمل في الميادين التي انصرفت اليها مواهبنا وكلنا سنكون يداً واحدة
في تحقيق آمالك وتنفيذ رغباتك فم هادئاً مطمئناً في ضريحك فقد أدت الواجب ولن
تسقط من المرتبة التي وضعت فيها واذا قصرنا ففتح المومون لا انت
ايها السادة

منذ مضى الردى بالمرحوم الدكتور صروف واليأس مخيم على قلوب اسرته وذوي
قرباه تتصدع صدورهم حزناً ويذوبون المأ ووجداً كلما ذكروه او ذكروا شيئاً من
آثاره وما اكثر آثاره الحسنة . فهم كل يوم في حزن جديد ولدى كل ذكرى
لهم انة ونحيب

ولا عزاء لهم مثل عطفكم عليهم وشعوركم معهم في مصابهم وستكون حفلة التأبين
هذه بلسماً لجراحهم الدامية وبرداً وسلاماً على قلوبهم الملتهبة

فانا بلسان ارملة الفقيد العزيز ولسان اولاده وذوي قرباه ولساني اقدم واجب
الشكر الى صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا والى صاحب المعالي علي باشا الشمسي
وزير المعارف لتكرمها برئاسة هذه الحفلة واقدم الشكر الخالص ايضاً الى اعضاء لجنة
التأبين ونقابة الصحافة لاهتمامهم بعقدتها وتنظيمها والى الخطباء والشعراء والادباء الذين
ابنوا الفقيد وذكروا من اخلاقه وخلاله ما كان له اجمل وقع في نفوسنا واشكر كذلك
صاحب الدولة رئيس الوزراء واصحاب المعالي الوزراء وحضرات العلماء ورجال الدين
والشيوخ والنواب والموظفين وغيرهم من كرام القوم الذين حضروا هذه الحفلة او
بعثوا لنا برسالة عطف او كلمة تعزية ولم يتمكنوا من الحضور

وحبذا لو كان في وسع اللغة او مقدرة اللسان التعبير الصحيح عن الشعور العميق
بالجميل لاصف ايها السادة ما تكنه جوانحنا لكم من الشكر والامتنان

ولكن ثقوا اننا لن ننسى لكم هذا الجميل بل يبقى منقوشاً على قلوبنا ما حيننا . وكما
رددنا ذكره تهمني من عيوننا دمعان دمة حزن على الراحل العزيز ودمة شكر لكم
تعرب عما ازلتموه على قلوبنا من الطمانينة وعلى نفوسنا من العزاء
جزاكم الله عنا خير الجزاء ولا فجعكم بعزير

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَا

(١) الترغيب في تربية الدواجن

كل مشروع اقتصادي او علمي اذا جمته الحكومة او الجمعيات او الشركات القوية بما واشتد وازداد نفقه. وليست تربية الدواجن واستثمار منتوجاتها الا عملاً اقتصادياً يفيد التشويق اليه والترغيب فيه لاسيما اذا كان الداعون الى ذلك ذوي مقام خطير في البلاد كالحكومة وكبار الشركات والغرف الزراعية والتجارية والجمعيات والنقابات الزراعية وغيرها. ووسائل التشويق كثيرة منها ايجاد مراكز للسفاد، واقامة المسابقات الزراعية وتوزيع مختلف الجوائز على الرابحين، وايجاد ديوان للطب البيطري اهم غاياته منع سراية الامراض الوبائية، وشراء فحول السفاد الممتازة او الاناث الغزيرة الدرثم يبعها من الفلاحين باثمان بخسة، والتضامن تجاه موت الدواجن الخ

﴿مراكز السفاد﴾ هي اما كن تربي فيها فحول الدواجن الصالحة للضراب. وقد تربي الاناث ايضاً. ويشترط في حيوانات هذه المراكز ان تكون سليمة حائزة على صفات العرق المرغوب فيها حتى يكون نسلها جيداً. والحكومات توجد هذه المراكز للخيول خاصة وتتفق عليها وتوزع الحيات في اواخر الشتاء وفي الربيع على اهم المناطق والقرى فسفد افراس القرويين لقاء اجرة زهيدة او بلا اجرة. ويسلم موظف المركز الى كل صاحب فرس اسفدها جواد من حيات مراكز السفاد وثيقة تنبيء بذلك وتكون دليلاً يعرف به نسب المهر الناتج عن هذا الضراب

وعند ما كنت مديراً للزراعة دعوت الحكومة الى ايجاد مراكز للسفاد في اهم المدن الشامية تربي فيها ذكور من الخيل العرب الاصلية فأنشأت مركزين في دمشق وفي حلب لكنهم ابوا الا ان يتعهد خيلها جنود من الجيش ولما كان هؤلاء غير واقفين على دقائق صفات الخيل الاصلية وعادات اهل البلاد في امور السفاد فقد ظلت قائدة المركزين المذكورين محدودة الى الآن

﴿المسابقات﴾ هي ان تعرض الدواجن في محتفل يخصص لهذا الغرض امام

(١) عن كتاب الدواجن للامير مصطفى الشهابي وهو مخطوط لم يطبع بعد

لجنة من الاختصاصيين في معرفة صفات الحيوانات الاهلية فتحكم في ايها الاجود .
ويوزع القائمون بالمسابقة على اصحاب الدواجن التي يحكم لها جوائز مالية او هدايا فضية
او نحاسية او خشبية جميلة او « مداليات » او فحولا للسفاد او شهادات خطية تشهد
بحكم اللجنة

واذا صعب على ارباب الفلاحة نقل حيواناتهم الى معرض التسابق فمن الممكن ان
تتجول اللجنة في القرى فتفحص الدواجن في امكانها

وتكون المسابقات اما محدودة لا تتعدى اقلياً من اقليم البلاد او عامة يتبارى فيها
الاكارون في طول البلاد وعرضها . والذين يوجدون المسابقات المحدودة هم الجماعات
والغرف الزراعية او مجالس الولايات العمومية غالباً

اما المسابقات العامة فبطلبها وزارة الزراعة لانه قلما يقوى غير الحكومة على تحمل
نفقاتها الباهظة . ولا شك ان المباريات الاقليمية شيئاً من الرجحان على المباريات العامة
في العواصم . ذلك ان الاكثار في الحالة الاولى لا يضطر الى الاتفاق في نقل حيواناته
الى العاصمة (حيث تكون المسابقات العامة) وفي إطعامها وتجهيز مكانها
في المعرض الخ

وتقسم الدواجن الى قسمين في مواضع المسابقات الى انواع وعروق (رسوس)
فيحل كل عرق على حدة . وقد تفرق الحيوانات في العرق الواحد الى اقسام كانت
يفصل بين العوامل والحلوبة في البقر والذكور والاناث في الخيل العربية الاصلية
وغير ذلك

ولما كانت الغاية من المسابقات الحث على تجويد عروق الدواجن بحسن الانتخاب
في الضراب فمن الضروري ان يكون اعضاء لجنة التفضيل واقفين كل الوقوف على تحلية
عروق الحيوانات الاهلية علمياً ويفيد جعل عدد اعضاء اللجنة قليلاً حتى لا يتنازعوا .
وهم يفحصون كل حيوان في مجموعة بادئ بدء ثم يفحصون كل ناحية من نواحيه
حسب ما يرونه في قائمة طبعت عليها اسماء النواحي الواجب فحصها في كل عرق . ويضعون
رقماً لكل ناحية او لكل ما يقاس كارتفاع الكائبة (اعلى الظهر) وعمق الصدر الخ .
ويكون الرقم التام عشرة او عشرين . ويطيعون علامة بالنار احياناً على قرون الحيوانات
الرابجة او حوافرها لتمييزها عن غيرها . ومنع بعض الحكومات غير الذكور الرابجة من
سفاد الاناث وتعاقب الذين يخالفون ذلك

يتضح مما اوجزت عن مراكز السفاد ومعارض المسابقات ان هاتين الوسيلتين هما من انجح الوسائل التي تحمل الفلاحين على تجويد حيواناتهم الاهلية ومن تتبع سيرها في بعض البلاد الاوربية تجلّت له فوائدها العظيمة التي لا تقاس بقليل مما تنفقه الحكومات فيهما

﴿سباق الخيل﴾ هو اجراء الخيل في ميادين خاصة لمعرفة اسرعها واقواها واشجعها . وقلمما يكون في حلبة السباق غير الخيل الاصيل . وكان لاجدادنا العرب فيما مضى ولع بالسباق وكلف فكانوا يتراهنون على الصافنات السبّاقة ويضعون السبّقة على رؤوس قصب الرماح في غاية المضمار حتى اذا مر المجلي (الاول) انترعها فارسه ولذلك قالوا «حاز فلان قصب السبق» . وكان يجتمع في ميادين السباق خلق عظيم من قبائل شتى ويؤمها ملوك العرب وامراءهم ايضاً . واكبر دليل على اهتمامهم بالحياد السبّاقة انهم كانوا يطلقون على كل جواد منها اسماً حتى العاشر في الحلبة . فاول الخيل المجلي ثم المصلي ثم السكيت وهو العاشر ولا يُعتدّ بما يجيء بعده . واشهر سباق في الجاهلية

سباق داحس والغبراء للحرب التي ثارت بسببه بين بني عبس وذبيان والسباق قديم في الامم عرف منذ عرفت الخيل واستخدمت في مصالح الانسان . وهو ما برح انجح وسيلة تقاس بها قيمة الصافنات الحيات . واشهر الانكليز والفرنسيون في القرون الاخيرة بحب السباق . واتخذوا لهذا الغرض ميادين ذاع صيتها واستفاضت شهرتها عرفنا منها في ضواحي باريز ميادين لونشام Longchamp وشانتيي Chantilly واوتوي Auteuil وغيرها

وللسباق اليوم قواعد كثيرة وهو على انواع منها التسابق خبياً او عدواً او على جر العربات والثاني هو الاعم . ومنها السباق في الارض المستوية والسباق في التي تعترضها خنادق وحواجز كأنهر صغيرة او قنّ او اخشاب او مرتفعات من لبن تقام في وجه المتسابقين من الخيل فيقحمها بعضها ويكبو بعض او تحجم عن اقتحامها فتسبّحها رفيقاتها المقدمة السلسلة القياد . ومن قواعد السباق ان يكون وزن السائس بنسبة عمر الجواد وهذه القاعدة ذائعة . ومنها ان تحمل بعض الحيات التي عرفت بالسبق بعض الاثقال حتى لا يظل لها رجحان على غيرها . وتختلف الغاية في الشوط الواحد باختلاف الميادين وعروق الخيل ونوع السباق ومتوسطها بين ٢٠٠٠ و ٤٠٠٠ متر وفي البلاد الاوربية جميعات تشرف على السباق وتنفق وارداته في تجويد انسال

الحيل وفي اعمال البر . وواردات السباق لا يستهان بها قرب ميدان في اوربا يبلغ ريعه بضعة آلاف من الجنيهات في حلبة واحدة ناهيك بالمبالغ الطائلة التي يتراهن عليها المتفرجون وهي تقسم بين الذين تسبق الحيات التي راهنوا عليها ويظل جزء منها لمن يتعهدون السباق . وفي بيروت ميدان لا بأس به . ولقد اقيم سنة ١٩٢٤ ميلادية ميدان تتعده البلدية في « المرجة الخضراء » بدمشق فاقبل الناس عليه بعض الاقبال لكن الثورة السورية التي نشبت في السنة التالية اوقفت السباق فيه واني وانا اكتب مقال في هذا في داري بسفح قاسيون اراه عن بعد خالياً خاوياً

ومما يرغب في اقتناء الحيل الاصيلة وتعهدها نوع من السباق لارهان فيه الفه الشاميون في دمشق والاطراف وهو ان تنقسم الحيلة قسمين يقف كل منهما مقابلاً الثاني في احد طرفي الميدان ويحمل كل خيال بضعة عصي يسمونها « جريداً » . فيبرز احد خيالة القسم الاول حتي اذا بلغ منتصف الميدان او اكثر هز العصا ورمى بها فارساً من فرسان القسم الثاني ثم ثنى عنان جواده وعاد مريضاً اياه . وعلى الفارس الذي سددت العصا اليه ان يتكبحا وان يعدي جواده وراء الذي رماه فيرميه بدوره ثم يعود حينئذ قبل ان يدركه احد رفقاء خصمه وهكذا . وليس ما ذكرت سباقاً بمعناه الحقيقي لكنه مبدأ تمتحن به سرعة الحيات وصلابتها وصبرها على الكر والفر ولاشك ان من كان عالماً بالفروسية يعجبه هذا النوع من الرياضة لاسيما اذا كان له ساعد قوي على اطلاق العصي لكنه في هذه الحالة اذا اصاب العصا خصمه في رأسه شجته ولهذا يجعلون شروطاً لنوع العصي وثخنها والمسافة التي لا يجوز في اقصر منها ان يرمي الفارس خصمه

❖ ديوان الطب البيطري ❖ بعض امراض الدواجن المعدية لا يقوى الفرد على منع سرايتها واستيلائها على الحيوانات الالهية فما يرغب في اقتناء هذه الحيوانات ان يرى الفلاح في البلاد حكومة ساهرة على منع تفشي تلك الامراض وعلى قطع دابرها بواسطة رجال ديوان من دواوينها يسمى ديوان الطب البيطري

وامراض الدواجن على قسمين معدية وغير معدية والاولى هي الالم ، وأعظمها خطراً الوباء والحمى القلاعية والحمى الجملية والحمى الجملية والحمى العرضية (ابو ذراع) في البقر ، والرعام (خنان) والعمر (سراجة) والجرب ومرض الجماع (الوسخ) في الحيل ، والجدرى والحمى القلاعية وذات الرئة المعدية ومرض الاظلاف في الضأن والمغز ،

والخناق الساق الساري في الجاموس ومرض السُرَّة في الإبل
اما الامراض غير المعدية فقل خطراً وهي كثيرة كمرض بلع الهواء وكفالج الحنجرة
في الخيل

وتتخذ دواوين الطب البيطري وسائل كثيرة لمنع سرية الامراض المعدية عند
ظهورها مثل منع نقل الدواجن من بلد الى بلد لاسيما من المناطق المصابة الى المناطق
السليمة ومثل منع البيع في اسواق الحيوانات الاهلية وعزل الحيوانات المريضة وقتلها
والتعويض على اصحابها وصنع المصل في معامل خاصة لتلقيح الحيوانات السليمة اتقاء
لسرية المرض اليها وغير ذلك

﴿بيع الحيوانات المنتخبة﴾ من اهم وسائل الترغيب في اقتناء الدواجن وتجويد
انسائها ان تعتمد الحكومة الى شراء فحول منتخبة جيدة التحلية اي فيها كل صفات الرس
المرغوب فيها فتهدى الى اناس من ارباب الزراعة اشتهروا بحسن تربية الخيل والانعام او
تبيعها منهم بثمان بخرطة ان يستعملوها في سفاد عدد معين من الاثان في كل
سنة لقاء اجرة زهيدة. واذا ما انفقت الحكومة في هذا الغرض فجعلت فخلاً او اكثر
من هذه الفحول في كل منطقة زراعية مهمة وراقبت القايمين عليها وحشت الفلاحين على
تقديم اناث دوابهم لها فان هذه الفحول تكون خير اداة لتجويد النسل وتثقيته .
وتتجرى الحكومة اهم الفحول احياناً فتدفع الى اصحابها نصف اجرة السفاد طول السنة
على الا يطالبوا اصحاب الاناث الا بالنصف الثاني . وامام الحكومات والجمعيات
والغرف والنقابات الزراعية وسائل اخرى لترغيب الفلاحين في اقتناء الدواب الاهلية
وتعديدها واتباع انجع الطرق في تجويد انسائها بالانتخاب الصناعي لكن كل الوسائل
تحتاج الى المال واقدّر الجميع على الاتفاق في هذا السبيل هي الحكومة فعليها الا
تضن على وزارة الزراعة بما يعوزها من الدراهم في ميزانيتها لاسيما ومن اهم وظائف
هذه الوزارة الدعاية وهذه لا تقلح مالم تعزز بالمال

﴿التضامن تجاه موت الدواجن﴾ هو اتفاق بين ارباب الزراعة على تعويض
من موت له دابة لاسباب طارئة . وهم يدفعون له ثمن الدابة كله او قسماً منه حسب
الاتفاق . ويكون التضامن إما على شكل إسعاف الفلاح المنكوب على أثر موت دابته
بأن يدفع له كل واحد من فلاحي القرية ما تجود به نفسه او يكون على شكل شركة
بتكافل اعضاؤها فيدفع كل منهم لهذه الغاية مبلغاً سنوياً متناسباً مع ثمن ما لديه من

الدواجن . ويعوّض المنكوب مما يجتمع من هذه الاموال . ولا يطلب من المشترك في الغالب اكثر من واحد في المائة من عمن دوايه سنوياً . وإذا كثرت هذه الشركات في القرى افاد اتحادها في شركة عليا تجمع شملها وتخفف وطأة الطوارئ التي قد تنتاب قرية دون اخرى . وتشجع الحكومات هذه الشركات كما تشجع شركات التعاون التي غايتها بيع محاصيل الفلاحين وشراء ما يحتاجون اليه من آلات واسمدة وحيوانات وغيرها . وتكاتف ارباب الزراعة على الطريقة المذكورة هو انفع لهم من معاملة شركات الضمان التجارية ذلك ان نفقاتهم في تكاتفهم تكون قليلة عدا انهم يكونون ادرى من غيرهم باسباب موت دواهم وبما يجب ان يعوّضه من فقد دوايه . ويضمن الفلاحون في اوربا بعضهم بعضاً تجاه موت الحيوانات الاهلية وتجاه حريق المحاصيل والبرد والصقيع وغيرها وكل ذلك يخفف وطأة ما ينتابهم من الطوارئ ويرغبهم في اعمال الفلاحة ومنها تربية الدواجن

مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

حشرة البرتقال القشرية وابادتها

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المقتطف الاعز

بعد التحية اطلعنا في مجلة المقتطف عدد ابريل سنة ١٩٢٨ على مقالة «اعظم الحروب العلمية» وفي الصفحة رقم ٣٧٨ منه تجدون مشبوتاً بها أن قسم الحشرات الاميركي جلب حشرة من استراليا اسمها «فاداليا» وأطلقها على شجر البرتقال المصاب بالحشرة القشرية (Icerya) فالتهمت تلك الحشرة الحشرة القشرية وقضت عليها . هذا هو مختصر الخبر الذي استلقت نظري والذي دعاني الى كتابة هذا هو التأكد من صحة هذا الخبر وعلى اعتبار انه صحيح لا مبالغة فيه فلماذا لا ترسل وزارة الزراعة في طلب بعض من هذه الحشرة بواسطة مفوضية مصر في اميركا واكثرها هنا وتسلطها على الحشرة القشرية التي تكبد مصر خسارة عظيمة كل سنة حتى صار يخشى على حدائق الفواكه من التلف والبوار أرجو ان تتكرموا بأفادتي وتفضلوا ابو حمص عبد العزيز مخيون

[المقتطف] راجعنا الاصل فوجدنا الترجمة تنطبق عليه وليس فيما نقلناه مبالغة ففسى ان تعني وزارة الزراعة باقتراحكم اذا رأى رجالها فائدة تجني منه هنا . وهذا هو الغرض الاعظم من نشر هذه المقالة وامثالها

بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترضياً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف وبراى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظر نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الانجاز تستخار على المطولة

حاجتنا الى الصحف العلمية

حضرة رئيس تحرير المقتطف الاغتر المحترم

من احسن ما يذكر من مآثر عميد المقتطف وفقيه علماء الشرق انكم ورثتم عنه العدل والنصفة في معاملة الكتاب والمراسلين ، وضمنتم لهم حرية القول واباحة النشر في المباحثات تأييداً لما تبغون من الحقائق واني لاشكر لكم رغبتكم اليّ في كتابة هذه السطور فاقول :

علّقت على مقال المنشور في العدد السابق من المقتطف الكريم بما يوم غفلتنا عن « المجلات العلمية التي يرجى منها الخير العملي للبلدان الشرقية » « وان حاجتنا الى مجلات العلوم الطبيعية اعظم من حاجتنا — الى المجلات المذكورة في ذلك المقال — وهي اولى بالتقديم »

— ولكن — لا بد انكم ذاكرون اننا لما عرضنا مقالنا عليكم وقرأناه حرفاً حرفاً وعلمتم ان الداعي المنبّه الى كتابته ، ما كتبناه في مجلة التريّة الحديثة التي اصدرتها هذا العام جامعة القاهرة الاميركية ، هو المناسبة العارضة لحاجتنا الى المجلات العلمية (الخاصة) كهذه المجلة الاختصاصية ثم تكررتم بعبارات التصديق والاستحسان اذ لم تقل بالثناء والاطراء ، دون ان تبدوا اقل تلميح او تلويح الى ما ذكرتم من امر اغفالننا لتلك

المجلات « الطبيعية التي هي اولى بالتقديم » على ما ورد في تعليقكم الكريم بل تذكرون اننا فارقنا ادارة المقتطف على وعد ان تقدموا في رأس المقال اشارة الى تلك المناسبة الداعية الى تخصيص مقالتنا بتلك المجلات الثلاث دفعاً لما قد يسبق لبعض المفكرين الالباء من فطنة تلك الغفلة وتناسينا الشأن الاجل « للمجلات الطبيعية »

ولما قابلنا حضرتكم على اثر صدور المقتطف نبهنا محفوظكم الواسع الى ما ختمنا به مقالنا من الاستدراك الجلي الوافي المطابق لتعليقكم في التنويه بذكر « المجلات الطبيعية التي يرجى منها الخير العملي للبلدان الشرقية » حيث قلنا « انا في كل ما ابديناه ويديده اقطابنا افاذا اللغة من اعلاء كلمتها وصون مقامها عن الابتذال والانحزال لا نفعل عن حاجتنا الضرورية الى العلوم العصرية من طبيعية ورياضية واجتماعية وزراعية وصناعية وفنية ولها ما لها من تنوير الازهان والمعونة القصوى في سعادة الامة ولحاقها بام الحضارة والعمران غير ناسين ان كل ما يتعلق باللسان من العلوم انما هو وسيلة لا غاية ولذا عرفت عند العلماء بالآلات »

وكأنا في سوق ذلك التنبيه سبقنا الى شرح ما تصورناه وخشيناه من مثل ذلك التعليق مستدركين ما عسى ان يأخذنا به رهط المفكرين المصلحين من الغلو بمنزلة اللغة من العلوم الضرورية والتلاهي بالقشور عن الباب وتغريير الطلاب بالثانوي دون الاولي من العلوم النافعة للبلاد الحقيقة بتنوير الالباب

فترون من ذلك كله انا لم نخصص بالذكر في تلك المقالة حاجتنا الى تلك المجلات الا لتلك المناسبة الطارئة جرياً على المعلوم من ان المرء اذا ذكر حاجة في وقتها لا يقصد انكار سائر الحاجات ، وان ذكر الخاص لا ينفي العام وفقاً لمقامات الكلام ورعاية لمقتضى الحال

ونحن انما اسهبنا شيئاً في تفصيل ابواب الحاجة الى المجلة اللغوية لسببين الاول هو التوسط بين المفرطين والمفرطين في درجة الحاجة الى اللغة ومنزلتها من الثقافة العصرية ، مما اصبح امره من المشهورات عند العارفين واقروا فيه الجمع بين الفريقين فنكتفي الآن بالاشارة اليه والثاني وهو ما يقتضي هنا طرفاً من طريف البيان وهو : ان فوق ما لضبط اللغة من الفضل الاصيل في تحديد المعاني وإبانتها له أثره النفسي من روعة الجمال المعنوي والدوقي على حكم ما للفنون الجميلة من وقع اللذة في النفس

بما تطلبه الفطرة ويهفو اليه الطبع ، فكما تطرب للحن الفني الآخذ بزمام النفس ، وكما يتولاك الاعجاب برسم محكم الصنع والطبع — كذلك — ترقص المعنى السامي بارزاً بما يليق من اللفظ الانيق مصوغاً بما يروق من القالب الشائق الرصف البديع الانسجام . وكما يستحسن الدرّ في عنق الحسنة والمطرف الباهر يجلى بابهي الازياء — هكذا — يسحرك الكلام اذا وافاك باروع نظام واذا اردت المزيد من روائع هذا البيان فلا اقلّ من الرجوع الى مثل (العمدة) لابن رشيق (والصناعتين) لابي هلال العسكري من ائمة الادب المبرزين . ولا اطيل على ربّ الذوق السليم في هذا التذليل انما احيله الى فعله يوم تعرض عليه صحيفتان في المعنى الواحد احداها في القبيح من اللفظ والريك من التعبير والاخرى في الفصيح من الكلام والمحكم من التركيب والبلغ من سواحر البيان — وما اكثر ما نرى مدى الساعات من هذه المعروضات !

وحاشا لنا ان نقصد بالعبارة العلمية وما ينتظم في سلكها محاكاة الادبية والخطائية كالمقامات من السجع المصنع والغريب العويص المقنع ، انما نريد ان يكون الكلام في ما سوى هذه الفنون الخاصة من مضبوط القياس والمرسل المسلسل والسهل الممتنع على ما تراه في مثل هذه المجلة الطريفة ويلذ له سماعك ويعشقه طبعك في مثل مقدمة ابن خلدون وتاريخ ابن الاثير واضرابهما من فحول اهل الانشاء وفرسان البلاغة والبيان

مصر

ديمثري قندلفت

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

التعليم الالزامي والنساء ايضاً

كتب حضرة المربي الفاضل الاستاذ حسين افندي ليب ناظر مدرسة النحاسين الاميرية كلمة في جزء يناير الماضي من المقتطف « تحت هذا العنوان » حذب فيها وجود النساء المعلمات بدل الرجال في المدارس الاولى والابتدائية عند الضرورة وأدلى ببراهين معقولة تعزيراً لهذا الرأي نرى انها لا تتوافر في المرأة المصرية واليك البيان :-
المرأة في مصرنا ثلاثة انواع احدها يسلك مسلك الحجاب بحيث تكون المرأة في متبهي الحمول والاستكانة كأنها وسيلة للتوليد او قطعة من أثاث البيت لا تزور ولا تزار

ولا تأتس ولا تؤانس ولا ينتفع بها بشيء ما حتى ولا في تربية اولادها ١١١ قس على ذلك ما عند نسايتنا القرويات. وهذا في نظري إنما هو جناية الرجل لأنه هو السبب في تأخرها بضربه على يدها بهذا السوط الغشوم . ولو أنه عالج هذا النقص بشيء من الحكمة واحترمها وهذبها ووفى حقها الذي فرضه الله لها لكانت اليوم هي غيرها بالأمس . ولكانت له الشريك العامل في تدبير شؤونه . فانه قد يضطر لترك عمله إذا ما مرضت أو مرض أحد اولادها لجهلها الفادح . وكثيراً ما عركت الاقلام وعالجت ضعف هذا الخلق الاجتماعي المهم . ولكنها لم تأت بفائدة لقسوة الرجل وظلمه ١١

وثاني الأنواع يسلك مسلك السفور بأوسع معانيه بمعنى ان المرأة تريد ان تتمتع بكامل حقوقها. بل قل أنها كالرجل في الحياة غير أنها بالأسف مبتذلة في صفاتها غير راقية في اخلاقها لأنها لم تستعمل سفورها بحكمة ولم تتخذ وسيلة لبروزها في المجتمع النسوي الراقي فتفيد الأمة وتعمل على اسعاد هذا الجنس السائر الى الوراء ١١ فسخر منها الرجل ومهد لها سبيل القضاء عليها وهكذا سارت نحو هاوية سفورها مسرعة . وكانت شرّاً من اختها الاولى

وثالث الأنواع وهو المطلوب . يسلك مسلك الحجاب حتى يقال أنه من النوع الاول ويسلك مسلك السفور حتى يقال أنه من النوع الثاني . وهذه المرأة هي التي تعلمت وأخذت قسطها الوافر منه حتى نالت الدرجة التي بها تفيد أمها إفادة حقيقية وهذه الدرة الثمينة قليلة جداً في مصر . لا تنالها فتكر ان في مصرنا نساء فضليات عاملات قد ضربن بسهم وافر في الإصلاح وهذه آثارهن بادية في رابعة النهار . ولكنهن قليلات

فلتعالج الاقلام هذا الإصلاح وليرحم هذا الجنس اللطيف وليعمل المصلحون على بروزه مصلحاً مفيداً حتى تقل الامية في البلد والنساء العاطلات اللاتي حرمن الدهر طائهن ؟ !

محمود عبد القادر

ادفو

مدرس

بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ وَتَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ

قد فتحتنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهور النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

العلاج بالمياه المعدنية

أقبل الصيف وأخذ الكبراء من رجال الحكومة وغيرهم يمدون معداتهم لمغادرة هذا القطر ذاهبين الى اوربا للمعالجة بمياهها المعدنية تقوية للابدان او استشفاء من الامراض . والذين عادوا منهم يروون لك العجائب عن فوائد تلك المياه . وهذا شأن الاوربيين في بلادهم فانهم يقصدون الاماكن التي فيها مياه معدنية للاستحمام بها انتجاعاً للقوة والاستشفاء . وقد اطعننا على مقالة فيها وصف الحمامات المعدنية وطرق المعالجة بها وكيفية حصول النفع منها فاعتمدنا عليها في كتابة السطور التالية

ان من ينظر في طرق العلاج المستعملة الان يستغرب ما يراه من الاهتمام المتزايد بمياه المعدنية واستعمالها في معالجة الامراض . فان الوفاً من المرضى يتقاطرون كل سنة الى الاماكن التي تنبع منها هذه المياه للاستشفاء بها وكثيرون من الذين زاروا تلك الاماكن واستحموا بمياهها يرون ان الذهاب اليها قد صار فرضاً لازماً عليهم فيقصدونها عاماً بعد عام كأنهم يحتاجون الى علاج سنوي تتطلبه ابدانهم . وهذا الامر ليس حديثاً فان الناس من عهد اليونان والرومان كانوا يعتقدون فائدة المياه المعدنية وكانت حمامات بلجيكا مشهورة في عهد ليفيوس المؤرخ الروماني الشهير الذي نشأ منذ الف وتسعمائة سنة . والظاهر ان الرومان اقتدوا باليونان في الاستحمام بالمياه المعدنية وتبعهم الذين جاءوا بعدهم من الامة

ومعلوم ان العامة تتحدث بفوائد طبية كثيرة للحمامات المعدنية والاطباء لا ينفون هذه الفوائد بل ان كثيرين منهم يثبتونها ويكثرون من وصف الحمامات للمرضى فيجدر بالباحث المدقق ان يعلم هل لاعتقاد العامة وجهور الاطباء في المياه المعدنية سند

علمي سواء استعملت للاستحمام او للشرب . وهل فائدتها تفوق فائدة ما سواها من طرق العلاج حتى يُعدل عنها اليها . وهل تقتصر الفائدة على استعمال هذه المياه في مواطنها او يحسن ان تستعمل في اماكن اخرى او يحسن تركيب مياه مثلها واستعمالها في بيت المريض بدلاً من نقله الى اماكن المياه المعدنية

وقد كان استعمال المياه المعدنية في صناعة العلاج اجتهادياً فقط مبنيّاً على التجارب والاختبار الطويل ولم يكن له سند علمي لكن العلماء لم يكتفوا بذلك بل اخذوا يبحثون ويحققون فوجدوا ان المياه المعدنية تنقسم الى خمسة اقسام مياه كبريتية ملحية ومياه كبريتية قلوية ومياه كبريتية ومياه ملحية حديدية ومياه حديدية ولكل قسم منها درجات مختلفة حسب كثرة المواد الذائبة في الماء وقلتها . والمياه النقية جداً من هذه الانواع تستعمل للشرب وغير النقية تستعمل للاستحمام

وقد ظهر بالاختبار الطويل ان امراض الكبد وانواع النقرس والروماتزم والامراض الجلدية على انواعها تفيد فيها كلها المياه المعدنية . ثم ظهر بالتجارب العلمية ان المياه الكبريتية التي تستعمل في مداواة المصابين بامراض الكبد تزيد افراز الصفراء فتكثر كميتها ويسرع خروجها وتكثر المواد الجامدة فيها دلالة على ان هذه المياه تقوي الكبد وتزيد فعلها ويستدل على ذلك ايضاً بكثرة خروج المادة البولية من الجسم . ولذلك تفيد هذه المياه في النقرس وما اليه . وامتجنت المياه الحديدية فوجد انها تسرع في تكوين كريات الدم الحمراء وتقوي القوة الحيوية في الجسم كله . فالياء التي فيها كلوريد الحديد تزيد افراز اليوريا وتقلل حامض اليوريك . وغيرها من المياه الحديدية تزيد افراز الصفراء ولا يزيد المواد الجامدة فيها . وهلم جراً من الادلة القاطعة على ان المياه المعدنية تؤثر في الجسم تأثيراً حقيقياً

ثم ان طرق الاستحمام تفيد لذاتها ولو لم تكن الفائدة من نوع الماء . وتقسم الحمامات من هذا القبيل الى اربعة اقسام حمامات حارة وحمامات حارة كيمياوية وحمامات حارة ميكانيكية وحمامات حارة كهربائية . فالاولى اي الحمامات الحارة فقط يتوقف فعلها على درجة حرارة الماء وتستعمل فيها المياه الحارة والباردة والحماء التركي والروسي وحمام الهواء الساخن وما اشبه . والثانية اي الحمامات الحارة الكيماوية يتوقف فعلها على درجة الحرارة وعلى المواد الكيماوية الذائبة في الماء سواء كانت ملحية او قلوية او حديدية . والثالثة اي الحمامات الحارة الميكانيكية يتوقف فعلها على حرارة

الماء وعلى فعله الميكانيكي في صبه ورشه وعلى ذلك وقت استعماله . والرابعة اي الحمامات الحارة الكهربية يتوقف فعلها على المجاري الكهربية التي تجري في الماء وقت الاستحمام سواء كانت متصلة او منقطعة

ولكل من هذه الحمامات فعل خاص به ولا سيما اذا استعمل بالحكمة وروعت في استعماله بعض القواعد . فان الاستحمام ولو بالماء القراح يؤثر في الجسم ووظائف اعضائه المختلفة فاذا اضيفت اليه مواد اخرى واختلفت حرارته عن حرارة الجسم كان تأثيره فيه اشد وتنوعت درجات هذا التأثير بنوع المياه وطرق استعمالها

واشد تأثير الحمامات في الدورة الدموية فان القلب يدفع الدم وما فيه من الغذاء المستخلص من القناة الهضمية الى الاوعية الدموية اي الشرايين والاوعية الشعرية والاوردة فيمر بها في كل اجزاء الجسم يعطيها الغذاء الذي تحتاج اليه ويأخذ منها الفضول وذلك ببادل السوائل من جدران الاوعية الشعرية بين الجسم والدم ثم يعود بهذه الفضول لتفرز من الجسم . فكل ما يغير مقدار الدم والقوة التي يدفع بها في ضربة من ضربات القلب ويغير سرعة الاوعية الدموية يغير قوة الدورة اي ضغط الدم اللازم لفعله في تغذية الجسم وتطهيره من الفضول . والحكم في هذه التغيرات كلها مجموع عصبي خاص يحفظ موازتها فاذا اوسعت الاوعية الدموية عضواً من الاعضاء ضيق هذا المجموع العصبي اوعية تقابلها في مكان آخر لحفظ الموازنة والا تغيرت موازنة الجسم . وعلى هذا المجموع العصبي يتوقف حفظ الصحة بنوع خاص لانه يبيق الدورة الدموية في حالة الاتظام مهما تغيرت احوال الجسم الخارجية والداخلية باختلاف الحر والبرد والحفة والضغط والفراغ والامتلاء واختلاف اوضاع الجسم وما اشبه

وقد استنبطت آلة يعرف بها ضغط الدم في الجسم ويرى بها ما يطرأ عليه من التغير ساعة بعد ساعة فتعلم بها احوال الدورة الدموية ومقدار التغذية . فأتضح بهذه الآلة ان الحمامات المختلفة تؤثر في ضغط الدم فبعضها يزيد الضغط وبعضها يقلله وهذا الفعل وقي ولكنه اذا تكرر يوماً بعد آخر تراكم تأثيره بعضه فوق بعض فيمكن استخدام الاستحمام طبيعياً للتحكم في ضغط الدم وتعديل الدورة الدموية واعادة ليونة الاوعية الدموية الى حالتها الطبيعية وتنويع تغذية الاعضاء . مثال ذلك ان الحمامات الحارة على انواعها تقلل ضغط الدم والباردة تزيد ضغطه . والمواد التي في المياه الملحية والكبريتية تقلل الضغط ايضاً . وصب الماء على الجلد بشدة يزيد ضغط الدم . وذلك الاعضاء يقلل

الضغط بشرط ان لا يدلك البطن دلكاً شديداً لان دلكه الشديد يزيد الضغط اذ يطرد الدم من أوعية البطن الى الدورة العامة

ثم ان الذهاب الى الحمامات المعدنية يفيد بتغيير الهواء والراحة والتخلص من عناء الاشغال وهموم البيت وبترتيب المعيشة والاقتصار على الطعام البسيط والقيام باكراً ونحو ذلك مما يأول كله الى تحسين الصحة حتى لقد يظن البعض ان الفائدة الحقيقية تحصل من هذه الامور لا من الاستحمام نفسه . والفائدة حاصله مهما كان سببها

تنظيف البرانيط

تنظف برانيط القش بالحامض الشتريك (الليمونيك) او الطرطريك او الاكساليك اذا اذيب في الماء ومسحت البرنيطة به وفركت جيداً . وذلك بان تبل فرشاة بالماء الفاتر الذي اذيب فيه قليل من الصابون وتفرك البرنيطة بها ثم تغسل بماء بقي وتقتصر بوضع قليل من الحامض في اناء نظيف ويصب عليه ماء غالي يكفي لغمر البرنيطة وتوضع البرنيطة في هذا الماء خمس دقائق وتنشف في الشمس . او يحرق الكبريت في اناء وتوضع مع الاناء في صندوق ويقفل وتترك معه بضعة ساعات فتقتصر ولكن اذا قصرت بالكبريت لا يلبث لونها الايض ان يزول وتصفّر ثانية

لعب الاولاد

اللعب لازم للاولاد لتسليتهم وتقوية ابدانهم . وقد تقوي الالعب عقولهم كما تقوي ابدانهم فيباح لهم الوثب والركض والصراخ وكل ما يقوي اعضاء الجسم الظاهرة والباطنة كما يباح لهم ان يلعبوا الالعب التي تمرن قواهم العقلية وتروضا وتدرهم على تحكيم الحركات كالرماية واللعب بالكمعاب والاكر والدوامات . ولكن قد لا يقتصر والدوهم واقاربهم على اعطائهم هذه اللعب بل يعطونهم لعباً اخرى تقلق السكان بصوتها كالطبول والزمور وما اشبه ويسر الولد بها لانه يسر بكل ما صوته جهوري ولكنه لا يستفيد منها غير اعتياد الاصوات المزعجة واحتقار راحة الناس فخذار من اعطاء الولد لعبة تندم بعد قليل على اعطائه اياها . ومن هذا القليل ما قد يأول الى جرح يديه وحرق ثيابه كالسكاكين والالعب النارية . اما الالعب التي تقتضي حركة كثيرة فكلها مسل وكلها نافع

مكتبة المقتطف

ابن سعود : شعبه وبلاده

لامين الريحاني

IBN SA'UD OF ARABIA

His People and His Land

By Ameen Rihani Published by Constable London 21/-

تختلف اساليب الكتاب في الكتابة عن الرحلات ومشاهد البلدان . فمنهم من يصف كل دقيقة يمرُّ بها ويدوّن كل شعور يخلج في صدره فتأتي كتابته وصفاً مسهباً — وفي كثير من الاحيان مملاً — لكل خطوة يخطوها ولكل مشهد يراه . ومنهم من يدوّن الملاحظات والحقائق والوان الشعور ثم يجمعها ويوبها تحت مباحثها المختلفة ويكتب كل بحث منها مستقلاً عن غيره . ويختلف هذا الاسلوب عن الاسلوب السابق في ان القارئ يرى الامور بكلياتها ويقف على النتائج التي وصل اليها الكاتب او الرحالة بدلاً من ان يرافقه في مشاهدة الامور الجزئية فيحار بين تضارب الآراء واختلاف النزعات التي تبث في النفس لدى النظرة الاولى . ويتراءى لنا ان الاستاذ امين ريحاني قد جرى على الاسلوب الثاني وخيراً فعل . فان القارئ يفتح الكتاب ليطالعه وهو متوجس من قراءة مجلد ضخم في ٣٧٠ صفحة عن رحلة في بلاد العرب ولكنه اذا اتسع له الوقت لم يتركه حتى يأتي عليه ذلك ان كتابة الاستاذ الريحاني تأخذ بمجامع القلوب . فانه وصف رحلته من العراق الى البحرين الى العقير الى النفود ثم الى العقير حيث حضر مؤتمراً سياسياً بين ابن سعود ومعتمد بريطانيا في العراق فالحسا فارياض عبر الصحراء حيث نزل في قصر الملك ضيفاً عليه ومن الرياض الى وادي حنيفة فالوشم فالقصيم فالدهناء فالخفر ومقابله للملك ابن سعود ووصف عاصمته الرياض ومذهب الاخوان ومجالسهم وعاداتهم ولعجم وغزوهم — وصف كل ذلك وصف عالم مطلع على نزائج الامم وآدابهم وسياساتهم صافي الذهن صريح القول رشيق المعاني فكاهة الحديث جامع بين عقل الفيلسوف وقرينة الشاعر وظرف الاديب وذلك باسلوب انكليزي بليغ شهد له

به نقاد الافرنج فيما كتبوه عن هذا الكتاب في صحفهم ولا غرو فللريحاني في الادب الانكليزي آيات بدأت بكتاب خالد ورباعيات ابي العلاء ولا تنتهي بكتاب «ابن سعود» فينا هو يتحدث اليك في القواعد السياسية التي يجري عليها ابن سعود في معاملة الانكليز والقبائل العربية المجاورة لحدود بلاده تراه ينتقل بك الى وصف البادية وصفاً شعرياً تشعر معه انك رفيق الريحاني تشاطره شعوره حين يكون «الليل صافي الحين رقيق الجلباب شأنه في البادية تدنو النجوم في سماءه من الارض بريقاً وتسمع فيه الاصوات كأنها على طول المسافات الابواق في الغابات لها دوي لطيف ينجد وبغور وصدى يتماوج كالنور». وبينما هو يصف لك ما عراه من آلام الحمى في احدى غرف القصر بالرياض اذا به يسرد لك نادرة لطيفة جرت له وهو يتنفض من قشعريرة البرداء حينما حاول احد رجال القصر ان «يكوي» قصصاً من الصوف للملك فلم يفلح لانه لم يضع في المكواة خماً ولا رش الماء على القصصان. وبينما هو يصف لك مصاعب الرحلة في البادية يحدثك عن الواحات التي يمر بها وعادات اهلها وما يستطيع عمله لزيادة انتاجها. وفي فصل يصور لك صورة للملك وابنائيه والمقربين اليه يلعبون ويتزهون وفي فصل يليه يثبت لك قواعد الوهاية وتاريخها ثم يأتيك بنجر اعظم اصلاح اجتماعي قام به رجل في الجزيرة بعد النبي — راجع مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٧ مقالة البدو والهجرة — يقوم على ثلاث قواعد: الاولى اخضاع البدو. الثانية حملهم على اعتناق مذهب الاخوان. الثالثة تقييدهم بالارض بعد تعليمهم الزراعة وجني خيراتها اذا لم يكن لابن سعود مآثرة غير هذا الاصلاح فكفى به اثرأ خالداً. ولكن الملك ذو شخصية ممتازة ترتفع فوق شخصيات الرجال الذين يحيطون به ارتفاع هامته فوق هامهم وتفوق قوته البدنية على قوتهم وقد دعاه احد كتاب الافرنج بكرمول الوهايين ولا ريب في ان امين الريحاني قد نجح نجاحاً باهراً في ان يكون رسولا بين الشرق والغرب. فقد تهيأ له من اسباب النجاح في رحلته هذه ما لا يتهاى لغيره من الرحالين الغربيين. فهو شرقي عربي يدرك مكان النفس الشرقية ومغامر التعبير العربي. وقد مهدت له صداقة الملك كل سبيل للاطلاع على احوال الوهايين «من الداخل» ولكن هذه الصداقة لم تعمه عن مواطن الانتقاد حيث رأى في الانتقاد اشارة الى ضعف او حشاً على اصلاح. لذلك رأينا كثيراً من الصحف الانكليزية ترحب بهذا الكتاب ابلغ الترحيب وتعتقد في وصفه الفصول الطوال وتثبت من صورته طائفة كبيرة وتشي



نظامه الساطان ابن سعود

مفتطف ماو ١٩٢٨
امام الصفحة ٥٩٣



امين الرجاني جلابسه النجدية

على صاحبه لما وفق اليه من بسط مسائل نجد واحوالها بأسلوب انيق يجمع بين بلاغة الشاعر وظرف الاديب . فعسى ان ينال هذا الكتاب من اقبال الشرقيين بعض ما ناله من اقبال الغربيين . فهو كتاب نفيس يضاف الى كتب الرحلات النفيسة التي كتبت عن بلاد العرب امثال كتب دوطي ولورنس وفلي وغيرهم من المستشرقين

التربية الوطنية

جامعة ادب وعلم ولغة

« التربية الوطنية » كتاب وضعه الاستاذ المدقق الشيخ عبد العزيز البشري سكرتير وزير المعارف البرلماني . وحسبك بوضعه البشري لتدرك انه اثر خالد من آثار المعاني ونموذج طريف من اساليب البيان ومن لم يقرأ البشري نائراً ما قضى حاجة النفس في اجتلاء حرفة الادب واجتلاء ثمرة البلاغة

البشري علم من اعلام اللغة . مثلت آياته في القلوب . فكانت عين المعاني . والبيان انسان عينها . تفردت لغته بمنهجها . وتماسكت معانيه بمعالجها ومخارجها . فكان له من الاسلوب امته ومن التركيب اصدقه . ومن الادب الكامل اوفره . ومن الرأي الرشيد اغزره . فجاء كتاب « التربية الوطنية » ناطقاً بالعقل حافلاً بالحكمة والفضل . يشهد للبشري بانه ابلغ واجاد واحسن وافاد

هو كتاب في اسمه دليل على مرماه . سلس العبارة . لا تعقيد فيها ولا تنافر . سهل النال قريب الى الافهام . جمع شتات المعلومات عن تاريخ ووطن وامة ودستور وحكومة وقضاء وحرية وحقوق وواجبات وسلطة تشريعية وتنفيذية . الى غير ذلك من مقومات الاخلاق وموسعات المدارك . واهج ما فيه اتساق الالفاظ وتوارد العبارات واختيار ما يطابق الحال ويقتضيه المقام . فتهيأت اسباب المعاني . متوافرة موادها متسعة نطاقها الى الغرض الاسمي يسوقه البشري اذ يقول :

« وبعد فهذا الباب « التربية الوطنية » فن لا يكسر موضوعه على مبحث خاص ولا تقصر مسائله على علم معين وانما هو الوان من القول تتصل بقواعد الدستور مرة . وبقوانين البلاد مرة . كما تتصل بنظام الادارة والقضاء في مصر . وبالقانون الدولي وبالتاريخ وما تغير على مصر من الاحداث السياسية وما تتطلع اليه من الاماني القومية . وهذه المسائل وان تعددت وتلونت في اغراضها فهي انما تنتهي الى غاية واحدة هي

تخرج شباب عارفين بحقوقهم قادرين لواجباتهم عالمين بصور الحياة العامة في بلادهم شاعرين تمام الشعور بانهم ابناء وطن لا عز لهم الا بزمه ولا حياة لهم الا بحياته . اذن انت ترى في التربية الوطنية جامعة صغيرة لدروس الوطن وجموعة وافية من شؤون الوطن وتاريخه ومرافقه . جديرة بان تشغل من القلوب سوياءها وان تحل في صميمها . فهي وليدة العلم والتجارب وثمره الادب والاختبار . تبعث في نفوس النشء حب الوطن . وتجعل الاقدام دأبهم . ومضاء العزيمة ديدنهم . والمعارف سبيلهم والعلم دليلهم . والعقل هاديتهم . والحكمة رقيهم . والحرية مطمحتهم . والواجبات غرضهم . والكمال في الوطن غايتهم . وعز الوطن وحياته شعورهم ومشاعرهم اقرأ البشري منطلقاً في اسداء النصيحة . ناشراً لواء المنطق الصحيح . رافعاً علم المبدل الصادق في قوله :

« وليس أعود بالشر والاذى على الفرد والمجموع معاً من ان يجهل الناس حقوقهم وواجباتهم فانهم اذا جهلوا حقوقهم قصرُوا في استقضاها واستهدفوا لالوان البغي تقع عليهم تعصف بجزائهم . واذا جهلوا واجباتهم تجاوزوا حدودهم واطلقوا أيديهم بالعدوان والاذى فاختل النظام واستهدفت البلاد للفوضى وليس وراءها الا الخراب والدمار » بل اقرأ « محاورة بين الاستاذ وتلميذه عن الاسرة والامة والوطن والوطنية » يعد بك صحيح الفهم الى معرفة صحة المرامي . تجلى وصفها بالالفاظ وتجلت وقها بالمعاني فجاء الحوار كستغريد الطير فوق الافنان بفنون الالخان وحب الاسرة ومجد الاوطان يتلقاها التلميذ بوجه وسيم وثغر بسيم . ويلقيها الاستاذ بنثر نضير ودقة تفكير وجمال تصوير . تغري التلميذ في الاستزادة من « التربية الوطنية » بحيث ينور الامل في نفسه ويشمر العمل في صدره

واذا رغبت في اجتلاء البحث الصادق وما اجتمع اليه من حسن التعبير الرائق وجمال المعنى مبنيّاً على اسس التربية في الاخلاق . فاقراً « وحدة الاماني » حيث يقول : « وكما ان لك امنية في الحياة هي ان تتقدم في طلب العلم حتى تنال اعلى الشهادات ثم تكون رجلاً عظيماً . وكما ان لاسرتك امنية هي ان تعيش سعيدة موفورة الرزق والكرامة . فاعلم كذلك ان لهذا الجسم الواحد « الامة » المكون من الاسر المختلفة اماني في الحياة وامالاً تجمع اسره وتربط افراده لان في تحقيقها هناء الجميع وعزهم وليست الاماني القومية في كل الامم واحدة فان امنية كل امة تتبع حوادثها وظروفها

وحاجاتها فمن الامم من تكون امنيتها مادية محضة كالتفوق على سائر امم العالم في التجارة والصناعة. ومنها من تكون امنيتها قومية ترمي الى جمع شملها وتمتعها بحريتها واستقلالها» وما ابلغ قول البشري في وصف الحرية ينظم فيها فرائد العقود . وينثر فيها فرائض الحقوق والواجبات . فيضع للحرية حداً . ولا تحد الحرية الا بالمنطق والمعقول . ثم يحدد لك الحرية مع حفظ رفعتها وصون كرامتها فتظهر لك حساً ومعنى وتلمسها شعوراً ومبنى في براعة عبارة وعبارة بارعة . تجلو امامك المهيم فتظفر بالحرية الصحيحة اذ يقول : « ومعنى هذه الحرية التي تكفلها الدساتير ان يكون للانسان الحق في ان يقول ما يشاء ويفعل ما يشاء بشرط ان لا يخل بالواجب المفروض عليه ولا يسيء الى غيره من الناس . اما الحرية المطلقة التي لا تقف عند حد والتي تبيح للانسان ان يقول ما يشاء وان يفعل ما يريد ولو اخل بالواجب المفروض عليه او اساء الى غيره من الناس فهذه لا تتصور الا في اشد حالات الفوضى وقد عرفت انها مدعاة الهلاك والدمار »

اما حديثه عن « التعليم » فيستقر في النفس والقلوب مستمداً من الحق نوره ومن الصدق ظهوره ومن الحس علي التعليم اطيبه وابرعه ومن الحث للاقبال عليه اوقعه وارفعه تحقيقاً للغاية القصوى واحياء للامية الفاشية . واستباقاً الى مناهل العلم ومجاراة الامم الراقية وبذلك يسمو بالامة فضلها ويعظم بالعلم شأنها وما ابلغ قول البشري في « ان التعليم واجب وطني » :

« ذلك يا بني انه ليس اضر بالامة ولا ادعى الى تأخرها في جميع مرافق الحياة من انتشار الجهل بين ابناءها . وهيمات لجاهل ان يهتدي الى الطريق المستقيم . واذا علمت ان بلادنا المصرية التي يزيد اهلها على ١٣ مليوناً ليس فيها ملماً بالقراءة والكتابة الا حوالي ٨٧٠ الفاً اي بنسبة ٨ في المئة وان بين البلاد الغربية من زالت الامية عنها تماماً ومن بلغت نسبة المتعلمين ٩٠ في المئة . علمت مبلغ العناية التي يجب ان نبذلها لمكافحة الامية ونشر التعليم في البلاد . لهذا اوجب الدستور جعل التعليم الاولى الزامياً للمصريين من بنين وبنات بحيث لا يمضي كثير من السنين حتى تكون الامية قد زالت من البلاد »

وفي التربية الوطنية غير ما تقدم بيانات ضافية ومعلومات دقيقة عن السلطات المحلية وفصول وافية عن الحكومة ووزاراتها ومصالحها واختصاص كل منها . وحسب المطالع ان يتصفحها ليلم بها المأماً كافياً يسهل له الوصول الى معرفة الدوائر وما عليها وما لها .

والكتاب على هذا المنوال من قوة تفكير ودقة تصوير ومثانة تعبير نأت به عن مواطن الخلل فظهر سهل المأخذ قريب المورد يمتاز بجلاء معانيه وسلامة الفاظه كما رأيت في ما اثبتناه شاهداً على حسن الذوق وغازاة المادة وفصاحة التركيب

والبشري في غنى عن التقرىظ وكتاب «التربية الوطنية» غني عن الدعاية والتعجيد وإنما هو واجب علينا نؤديه وهو حق له نوفيهِ وكفاه ان يشمله جلاله المليك بعنايته وعطفه وان يولي «الكتاب من الرعاية السامية ما ينقطع دونه جهد الشكر»

هذه كلمة زهية في كتاب البشري كنا نود ان تتبعها باخواتها فتكون وافية لهذا السفر القيم لولا ضيق المقام وقصر الوقت فاكتفينا بها صادرة عن شعور واعجاب ومرسلة عن وفاء واحترام

الاسكندرية

توفيق طنوس

مطبوعات مكتبة المنار

اهدت لنا مكتبة المنار المشهورة طائفة من الكتب التي طبعها اخيراً ومنها كتاب «الوحدة الاسلامية والاخوة الدينية» وهو يشتمل على مباحث اصلاحية بين عالم مصلح ومقلد جامد في شؤون علمية ودينية واجتماعية متفرقة وثمنه ٥ قروش . وكتاب «ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد ومنافاة الاسلام» وثمنه ٣ قروش والكتابان تأليف العالم الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء . وكتاب الصحة تأليف الزعيم الهندي الكبير مهاتما غاندي وترجمة الاستاذ الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي وهو يشتمل على قسمين بحث في القسم الاول في حقيقة الصحة والحفاظة عليها وتركيب جسم الانسان والهواء وضرورته للصحة والماء ونظافته والغذاء وشروطه ومضار الحر والافيون والدخان والشاي والقهوة والكافو والبقول والبهارات واضرارها وكما مرة يجب ان تأكل والرياضة واللباس والزواج واضرار الشهوات ومنافع العزوبة والباب الثاني في علاج الامراض بالهواء النقي وبالماء والبخار وبالتراب وعلاج سائر الامراض المعديّة بوصفات وصفها غاندي وتربية الطفل واسعافات الطوارئ الفجائية وخاتمة في وجوب استخدام الجسد وقواه للخير وعبادة الله وثمن الكتاب ٥ قروش . ورسالة «الواردات في نظريات المتكلمين والصوفية في الفلسفة الالهية» ويلها العقيدة المحمدية وهي تأليف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وثمنها ٢٠ ملياً والكتب كلها تطلب من مكتبة المنار بشارع زين العابدين بمصر

مطبوعات اخرى

﴿ الدين والتعصب ﴾ بقلم اسعد افندي الغريب صاحب مجلة الشمس اللبنانية اشار في مقدمته الى الغاية من وضعه بقوله : اننا بهذا الكتاب لا نعارض الدين ولا نعاكسه بل ندعو الناس الى التمسك بجوهره والعمل بشرائعه ليصير المسيحي مسيحياً بالفعل والمسلم مسلماً بالفعل . ومتى صار هذان المتدينان يعرفان حقيقة المسيح ومحمد يصيران فعلاً اخوين متحدين تربطهما روح واحدة صافية شريفة مشتقة من مصدرين وان اختلفا اسماً فقد اشتركا واتفقا غاية وجوهرأ ومعنى . وهي غاية سامية شريفة ولكن السبيل الى تحقيقها وعرف . فانه قد مضى على نشر مذهب دارون ٦٩ سنة ولكن ثارت ثورة رجال الكنيسة في السنة الماضية لما التى السرارثريت خطابه النفيس الذي ترجمناه في المقتطف وعنوانه «مذهب دارون في الميزان» رغمًا عن انتشار التعليم والتهذيب بين طبقات الشعب الانكليزي . ولكن نشر الكتب وكتابة المقالات في تقريب حقائق العلم الاساسية افضل وسيلة لتبذ هذا التعصب وحث الناس على التمسك باصول الدين القويم . فعسى ان يكون هذا الكتاب خطوة الى الامام على هذا الطريق الوعر

﴿ ذكرى كليفلند ضودج ﴾ المستر كليفلند ضودج من اشهر المحسنين الاميركيين له ايداء بيضاء على ترقية التعليم بما وهبه من الهبات المالية الكبيرة الى كلية روبرت بالاسانة وجامعة بيروت الاميركية وغيرها من معاهد التعليم في الشرق الادنى . وهو والد الدكتور يارد ضودج رئيس جامعة بيروت الاميركية الحالي . وهذه الرسالة تحتوي على سيرته ورسائل التعزية فيه ومقالات التأين التي كتبت في صحف سورية او تليت في حفلة التأين التي اقيمت له في بيروت . وقد اجاد الاستاذ امين تقي الدين في قوله ان عرشاً ابقى على الدهر عرش شاده محسن على صدقاته خازن المال مشرك عبد الله وصلى للمال في خلواته

وعظ الاغنياء حيًا وامسى عظة للدهور بعد مماته

﴿ كتاب التماس الاحكام المدنية النهائية ﴾ علماً وعملاً بالحاكم الفرنسية المختلطة الاهلية تأليف الاستاذ احمد منيب محام بالحاكم المختلطة ومحكمي الاستئناف الاهلية والشرعية . طبع بمطبعة الترتي بشارع الساحة بمصر ومن النسخة ٦٠ غرماً مصرياً

﴿ الاسرة العلوية في مصر ﴾ طائفة من الشعر مرفوعة الى حضرة صاحب
الجلالة فؤاد الاول ملك مصر المعظم من نظم الاستاذ يوسف الحاج طبعت بمطبعة
المقتطف والمقطم

﴿ الكتاب السنوي ﴾ للجمعية العلمية بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة يحتوي على
مباحث زراعية عملية ونظرية وتاريخية مثل « الكائنات الحية في التربة واثرا في نمو
النبات » و « نصيب السودان في انتاج قطن الامبراطورية » و « حاجة مصر الى البساتين
ووجوب تعميمها » وغيرها من المباحث المفيدة

﴿ جلال خالد ﴾ قصة عراقية وضعها احمد افندي السيد المدرس على عظم
مذكرات او حديث وطبعت بمطبعة دار السلام ببغداد

﴿ التهج الصوتي ﴾ كتاب مصوّر وضعه الشيخ محمد كامل الحمالي واندليكاتو
بلد اسري تحت مراقبة الاستاذ اميليو ميرانتي والغاية منه بسط طريقة جديدة سهلة
المأخذ لتعليم مبادئ اللغة العربية وقد طبع بمطبعة مكتب الفنون والصنائع بطرابلس
الغرب وثمنه ٨ ليرات ايطالية

﴿ مهاتما غاندي ﴾ سيرة زعيم النهضة الهندية الحديثة بقلم عالم من اكبر اعلام
الادب الاوربي — رومان رولان الفرنسي — الذي نال جائزة نوبل للادب سنة
١٩١٥ نقله الى العربية عمر افندي فاخوري واهدته مجلة الكشف البيروتية الى مشتركيها
بعد ما طبعت بمطبعة طيارة ببيروت. ويطلب منها صفحاته ١٥٧ صفحة بقطع المقتطف

بيان

لم يتسع نطاق هذا الجزء لمعالجة بعض المؤلفات النفيسة التي ظهرت حديثاً
ككتاب «العقل الباطن» تأليف الاستاذ سلامه موسى وكتاب «تطور الفكر العربي»
لمؤلفه اسماعيل مظهر بك صاحب مجلة العصور. وكتاب «السمفور والحجاب» للاثرة
نظيره زين الدين. وكتاب «المدرسة والاجتماع» للاستاذ ديوى ترجمة الاستاذ
مترى قندلفت وديوان «الققص المهجور» نظم يوسف افندي غصوب وغيرها

باب المسائل

فتحتنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . وبشترط على السائل (١) ان يمضي مسأله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله اليها فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

حلاً لفظياً بقولهم ان الخط الهندسي حاصل من حركة النقطة الهندسية في الفضاء وطوله هو البعد الذي مرت النقطة بين طرفيه (٣) تولد الحي من غير الحي

ومنهُ . ذكرتم اكثر من مرة في المقتطف ما اثبتهُ العلم والعلماء من ان الحي لا يولد من غير الحي . فهم تتولد الخلوقات الدنيا كالقمل والبراغيث والديدان وما اشبه ج . تتولد من بيوض حشرات مثلها . وهذه ولدت من بيوض حشرات مثلها ايضاً وهلمَّ جراً . لان الحي لا يولد الا من حي آخر مثله . وقد تقولون الى اين تمتد في هذا التسلسل والجواب عن ذلك عند علماء الحياة ان انواع الخلوقات تتغير قليلاً باختلاف الاحوال فيتولد من النوع الواحد انواع كثيرة على تماذي القرون وعلى هذا الاسلوب تولدت انواع الحيوان والنبات من اصول قليلة العدد او من اصل

(١) وزن الدماغ
البرازيل . كيف يوزن الدماغ وبماذا يوزن
ج . يوزن بميزان دقيق كما توزن المواد التي يراد معرفة وزنها علمياً . ولا خلاف في ذلك ولكن الخلاف في ما يوزن مع الدماغ حين وزنه . فبعض العلماء يزنه كما هو مع الاغشية التي تحيط به وبعضهم يجرده منها . وبعضهم يقطعه ويتركه حتى يرشح منه الدم والمصل ثم يضعه في الميزان فيخسر من وزنه نحو اوقية او اوقيتين كذلك (٢) الخط الهندسي

بغداد . يقال في كتب الهندسة ان النقطة الهندسية لا طول لها ولا عرض ولا عمق . وان الخط الهندسي مؤلف من نقط هندسية لا طول لها فكيف يحصل الطول من مجموع نقط لا طول لها
ج . هذه مسألة فلسفية كثر الجدل فيها بين الفلاسفة . ويحملها علماء الهندسة

(٥) مخترع طاولة الزهر

غرزوز لبنان . من هو مخترع طاولة الزهر (الزرد) ولاي سبب اخترعت وهل كان مخترعها مالكا لقواه العقلية

ج. تاريخ هذه اللعبة غير واضح الاصل فقد جاء في الانسكلوبيديا البريطانية انها لعبة تتوقف على رمي « الزهر » . وان المؤرخ سترت Strutt قال انها استنبطت

في القرن العاشر ولا يزيد . وتدعى بالانكليزية « باك جمن » واصل الكلمة لفظتان سكسونيتان الاولى « بايك » ومعناها رجوع والثانية « جامن » اي لعبة والمقصود بهما « ارجاع اللاعب » على ما هو مشهور في لعبة الزرد . ولعلها لم تستنبط كاملة كما تلعب الآن فاشتعل كثيرون في وضع قوانينها واتقان العابها ولذلك لا نرى سبيلا نحصل به على جواب للشق الاخير من سؤالكم

(٦) ذكاء العم والعميان

تلمسان . الاذكاء من العميان كثيرون ولا نكاد نجد بين الصم اذكاء فهل حاسة السمع اعلق بالادراك من حاسة البصر ؟ ج. الصم في الغالب خرس ايضا . وهؤلاء يصعب تعليمهم اذ لا شيء يجدي في تعليمهم غير الاشارات . وهذه وسيلة ضعيفة الاثر بطيئة الفعل . اما العمي فيستطيعون ان يصغوا الى المحاضرات التي يلقيها

واحد . وهذا الاصل الاول او الاصول الاولى تولدت فيها الحياة اولا من تفاعل القوى الطبيعية . وهذا بحث طويل نشير عليكم بان تترثوا قليلا في متابعته حتى تصدر هدية المقتطف السنوية وفيها فصل واف لعالم من اكبر علماء الانكليز موضوعه « الحياة : اصلها ومنشأها وحفظها »

(٤) فائدة الرحلات الشاقة

انديانا بوليس . اذا كانت الصحراء ارضا رملية غير مأهولة فلماذا يجهد الجغرافيون واصحاب الرحلات انفسهم في جوبها وتحشم المشاق في اختراقها كبعض رجال الرحلات الذين طالعنا اخبارهم في كتاب « الرواد » فان بعضهم بقي اياما في صحراء لا يجد في خلالها كسرة خبز ولا جرعة ماء

ج . ان حب اكتشاف الغرائب واقتحام المخاطر فطرة في بعض الناس فلا يحلو لهم عيش الا باختراق الافاق وتحشم المشاق . ولا تخلو رحلاتهم من فوائد جمة علمية وتجارية . فقد يكتشفون حقائق كثيرة في علم النبات والحيوان واحداث الجو مجهولة عن العلماء وقد يجدون مناهل وطرقا للقوافل او سكك الحديد لم تكن معروفة وبمثل ذلك تتقدم الشعوب وترتقي

الاساتذة . وبعضهم يكون حادّ الذّاكرة في الغالب فيحفظ ما يُلقَى عليه . فاذا تفوق على المتوسط ظهر لجرّد انه كفيف البصر . وهذا لا ينبغي ان بعض كفيفي البصر يحسبون في مرتبة اكبر النوايع كملتون والمعري

(٧) انكسار النور في الماء

ومنه . اذا غمست في الماء عصاً طولها ذراعان رأيتها كأن طولها ذراع واحدة . وكذلك سائر الاجسام تظهر صغيرة الحجم اذا غمرها الماء فما سبب ذلك . وهل تعللون صغر النجوم بانها تسبح في فلك يشبه الماء

ج . ضع غرساً في فنجان من الخزف كفنجان الشاي وابعده عنه رويداً رويداً حتى لا تعود ترى الغرس بعينيك . ثم ادع من يصب ماءً في الفنجان فتعود ترى الغرس فيه كأنه ارتفع عن قاع الفنجان مع انه لم يرتفع . انما كان النور المنعكس عنه لا يصل الى العين لانه في اناء غير شفاف . والعين منحرفة عند حافته . ثم لما ملئ الفنجان ماءً صار النور المنعكس عند سطح الغرس ينفذ الماء اولاً ثم الهواء وهما مختلفا الكثافة فتكسر اشعته وتتحرف فيصل بعضها الى العين فتراه . تقولون واية علاقة تجدون بين هذا التعليل وبين قصر العصا . فنقول ان هذا التعليل يبين لك ناموساً عاماً يجعلك ترى العصا الطويلة المستقيمة قصيرة معوجة

اذا غمست في الماء . ذلك ان اشعة النور اذا وقعت مائلة على سطح جسم شفاف ككأس من الماء مثلاً انعكس عنه بعضها واخترقه البعض الآخر . ولكن شعاعاً النور في اختراقها للجسم الشفاف لا تبقى سائرة في خط مستقيم بل تنحرف عن استقامتها وتصل الى العين كأنها آتية من مكان فوق المكان الذي اتت منه حقيقة فيرى الغرس وتظهر العصا منكسرة . وانكسار العصا يوهم انها اقصر من حقيقتها ليس الا

اما صغر النجوم فسببه بعدها . وقد اشار الى ذلك الشاعر العربي بقوله والنجم تستصغر الابصار صورته

والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

(٨) النضب والاصفرار

ومنه . اذا غضب الانسان اصفر وجهه ونضب رونقه وجماله فما سبب ذلك ج . اوضح عمل يقوم به الجهاز العصبي في ظواهر الحياة هو احداث حركات الجسم العمومية وتنظيمها — وهي الحركات التي تقوم بها العضلات الارادية اي التي تخضع لسلطة الارادة ونواهيها . وله فعل اقل وضوحاً ولكنه ليس اقل شأناً وهو تنظيم انقباض العضلات غير الارادية ومن هذا القليل انقباض عضلات الشرايين فيقل حجمها ويقل بذلك الدم الوارد اليها فتصغر

الاقسام التي تذهب اليها لقلة الدم الوارد،
فاذا قل انقباض تلك العضلات كبر حجم
الشرايين وكثر الدم الذي تورده واحمرت
الاعضاء التي يذهب اليها. وقد تحدث هذه
التغيرات في الشرايين كما في القلب بفعل
الانفعالات النفسية وغيرها من المؤثرات
التي لا نشعر بها مطلقاً كالتي تحدث في
انشاء النوم او في حالة التبيج وهلم جرّاً

(٩) السرطان والوراثية

الاسكندرية . هل السرطان وراثي
ج. لقد ثبت من مباحث دقيقة جربت
في الجرذان ان السرطان فيها وراثي .
ولكن الباحثين مختلفون في هل هو وراثي
في الناس او غير وراثي

(١٠) التثاؤب ودلالته

ومنه . اُصاب في بعض الاحيان بضيق
في التنفس واحسّ اني اريد ان اتثاءب تثاؤباً
مستمراً وفي بعض الاحيان لا اتمكن من
اتمام التثاؤب لضيق التنفس المذكور فما هو
سبب هذه الحالة وهل غيري يصاب بها

ج . التثاؤب في الواقع هو تنفس
طويل اوله استنشاق طويل للهواء يتبعه
زفير طويل وهو عمل لاسلطة للارادة
عليه (غير ارادي) ويصعبه شعور بوجوب
التمطي وصوت مسموع في بعض الاحيان.
وهو في الغالب دليل على التعب وقد يكون
اشارة الى اعياء عصبي او عقلي . ويصيب

الحيوانات المقيمة في هواء اكسجينه قليل
وكان التثاؤب يحسب قبلاً عرضاً من
اعراض المرض ولكنه لا يحسب كذلك
الآن الا في احوال نادرة

(١١) الشعوذة والاستهواء

زفتي . المشهور الآن ان السحر
واستخدام الارواح باطلان . ولكنني
شاهدت امرأة كانت تصاب بصرع شديد
فتمزق ثيابها وتضرب ذاتها بعنف فعالجها
كثيرون من الاطباء فلم يتمكنوا من شفائها
واخيراً رأها أحد الدجالين وهي في هذه الحالة
فاستخدم لها الارواح وامرها ان لا تعود
اليها مرة أخرى فشفيت فما قولكم في ذلك
ج. يظهر من وصفكم ان المرأة كانت
مصابة بالصرع الهستيري وهو كثيراً ما
يشفي من نفسه . وقد كثرت الادلة الآن
على انه يشفي بالاستهواء ايضاً اي باقناع
المريض وهو في حالة الثوبة ان المرض
فارقه . والحوادث التي من هذا القبيل
كثيرة مشهورة فلا يبعد ان يكون شفاء
المرأة قد تم بالاستهواء

(١٢) برودة البطيخ في الشمس

ومنه . لماذا يبرد البطيخ اذا كسر
ووضع في الشمس

ج . السبب في ذلك ان جانباً من
الماء في البطيخ يتبخر فيمتص بعض
الحرارة من البطيخة فتبرد

باب الاخبار العلمية

صورة الغلاف

يمثل غلاف هذا الشهر صورة تخيلية
مبنية على حقائق تاريخية رسمها الاستاذ
بورخارت لاهرام ابي صير وما يتصل بها
من المعابد التي بناها ملوك الاسرة الخامسة
حوالي سنة ٢٧٠٠ ق . م . حسب تقدير
الاستاذ برستد

سعة الكون

يسير النور نحو ١٨٦.٠٠٠ ميل في
الثانية. ومثله الامواج اللاسلكية. فيستغرقان
نحو سبع ثمانية في الدوران حول الارض
ونحو مائة مليون سنة من سني النور في
الدوران حول الكون. فاذا صغرت الارض
حتى صار حجمها حجم الجواهر الفرد بلغ
حجم الكون الذي يرى باقوى التلسكوبات
على هذه النسبة حجم الارض وبلغ حجم
الكون كله على ما هو ممثل في مذهب
النسبية الف مليون ارض منتشرة حولها
في الفضاء

ولا يقل تعدد الاجرام السماوية
واختلافها عظمة وروعة عما تقدم: فالشمس

اوجه القمر في مايو

يوم	ساعة	دقيقة	
٤	١٠	١٢	البدر
١٢	١٠	٥٠	الربع الاخير
١٩	٣	١٤	الملال
٢٦	١١	١٢	الربع الاول
٥	٦	٣٠	الاوج
١٩	٧	٣٦	الحضيض

السيارات في مايو

عطارد . لا يشاهد في اول الشهر ثم
يصير كوكب مساء في آخره
الزهرة : والمريخ والمشتري كواكب
صباح

زحل . يشرق نحو الساعة التاسعة مساء

كسوف الشمس الكلي

تكسف الشمس في صباح يوم السبت
١٨ مايو سنة ١٩٢٨ كسوفاً كلياً لا يشاهد
من القاهرة

عنوانه «ما بعد غدٍ» نظر فيه الى مستقبل العمران نظرات يؤيدها العلم ويحججها الخيال ثم رسم صورة للحضارة في المستقبل القريب اذا ظل العلم يرتقي كما ارتقى في النصف الاخير من القرن التاسع عشر وما مرّ من القرن العشرين . وسنشر في اجزاء المقتطف التالية مقتطفات من فصول هذا الكتاب العلمية لما تحويه من الفائدة والفكاهة

آثار دندره بيلاد اليونان

بعث المستر وايس رسالة الى جريدة التيمس وصف فيها مكتشفات الاستاذ برسن الاسوجي في دندره بيلاد اليونان . فقد اكتشفت البعثة الاسوجية التي يديرها هذا الاستاذ مقبرة تحتوي على مدافن منقوشة في الصخر مدفنان منها يعود عهدهما الى اواخر القرن الرابع عشر قبل المسيح وعلى مقربة منهما مدفن ثالث كبير يدخل اليه في ممر منقوش في الصخر طوله ٦٠ قدماً وعرضه ست اقدام وجدوا امام بابيه رجمة من الحجارة عثروا تحتها على هيكل عظمي لفتاة مع دبوس من البرونز ومغزل وحلي كثيرة كانت مغطاة بالذهب . ووجدوا داخل المدفن مجموعة تحتوي على ٣٣ اداة من البرونز منها سبع زهريات وسبع كؤوس وخمسة مصاييح وسيف

ملئت رجل واحد يديرها كما يشاء ولا يحتاج في ذلك الى اكثر من ضغط على ازرار كهربائية في الغالب . واذا العمال اجزاء من الآلات او هم واجزاء الآلات في مستوى واحد . واذا ابناؤ الاغنياء من اصحاب المعامل ومديريها وبناتهم يلهون ويعثون بالحياة في حدائق معلقة تزي بحدائق بابل لولا هذه المسحة الصناعية التي تبدو في كل مشاهدتها . واذا المدينة كلها آلة كبيرة اجزاؤها هذه المباني والطيارات والمكينات والشوارع والمديرون والعمال يشملها نظام ميكانيكي كأنه نظام الافلاك في دورانها دقة وصرامة

هذه هي اهم العناصر التي تتألف منها الرواية وهي تدور على مسألة النزاع بين العمال والمتمول صاحب العمل وامكان التوفيق بين الفريقين . وسواء اتفقنا مع المؤلف على صحة الصورة التي رسمها للحضارة الصناعية في آخر القرن العشرين او خالفناه فلا ريب في اننا نوافقه على ان العلم آخذ في الارتقاء ارتقاءً سريعاً يتعذر معه التكهن بما يأتي به الغد . وقد لا يكون بعيداً عن الاحتمال تحقيق ما جاء في هذه الصورة من الوجهة العلمية اذا لم يتحقق كل ما جاء فيها من الوجهة الاجتماعية

وقد اطلعنا مؤخراً على كتاب نفيس للكاتب الانكليزي الشهير السرفاياب جيس

معاهد الزلازل

كثرت في الاسابيع الاخيرة ابناء
الزلازل في غرب آسيا الصغرى كزلزلة
ازمير وبلاد البلقان كزلزلة بلغاريا . وقد
اطلعنا في مجلة السينتك اميركان على بيان
لاشهر مناطق الزلازل ومتوسط ما يحدث
فيها من الزلازل كل سنة ونسبة الزلازل
الشديدة الى هذا المتوسط ونسبتها الى كل
الزلازل التي تحدث في انحاء الارض .
فرأينا ان ثبته فيما يلي

اسماء اشهر البلدان التي تتأثر بها الزلازل	السطح السطحي الزلازل الشديدة في هذا السطح	نسبة الزلازل الشديدة الى مجموع الزلازل في العالم
شيلي والبحر غربها	١٠٠٠	٤٤٥
اليابان والبحر حولها	٤٣١	٥٦٠٠
شرق افريقية	٣٠٠	٣٦٠٠
شرق الادرياتيكى	١٩٤	٩٤٠٠
جبال الالبين	١٨٤	٣٦٦
جبال تراقية وبلغاريا	١٦٩	٤٤٢
اليونان وبحر ايجه	١٤٥	٢٦٠
جزائر فيليبين والبحر حولها	١٤١	٢٦٠
كالابريا وشمال صقلية الشرقية	١١٦	٢٦٦
جنوب شرق الالب	١٠٢	٢٦٠
بلاد المكسيك	٩٨	٢٦٠
جواتيمالا	٩١	٠٤٧
كاليفورنيا	٨١	٠٤٨

وسكينان وموسيان وريح صياد وعلى كثير
من هذه الادوات رسوم هندسية دقيقة
وتقوش ازهار بدیعة. ويستدل من الآنية
الحزفية التي وجدت في هذا المدفن ان
تاريخه يعود الى سنة ١٣٠٠ ق م . ولم
يعثر فيه على آثار للانسان وبرى الاستاذ
برسن انه شديد ضريحاً لتخليد ذكر زعيم كبير
كضريح الجندي المجهول الذي اقيم في لندن
مثلاً وهذا يتفق مع ما هو معروف عن
عادات اهل ميسيني في دفن الكبراء على
ما هو مذكور في اشعار هوميروس

نور يخترق الضباب

يشغل علماء الشركة الكهربية الاميركية
العامة باتقان مصباح من الكوارتز يحتوي
على غاز النيون الذي ينير نوراً قرمزياً يقال
انه يخترق الضباب . وقد امتحن فوفى
بالغرض ذلك ان ضباباً كثيفاً كان يغطي
احدى مباني الشركة في صباح احد الايام
حتى لا تستطاع رؤيتها على بعد خمسمائة متر
فانير هذا المصباح فغرى نوره الضباب الى
مسافة نصف ميل وظهرت البناية واضحة .
ولا ريب في انه متى اتقن اصبح من الزم
معدات الطيارين واكثرها فائدة لان
الضباب الدائم كما يظهر من الرحلات
الجوية التي نشرنا ابناءها في اجزاء
المقتطف السابقة

أكبر المولونات للطيران التجاري

يبني الآن في انكلترا بلون يكون طوله متى تم بناؤه ٧٠٩ اقدام وقطره الاطول ١٣٣ قدماً ومساحة القماش الذي يلزم لتغطية هيكله المعدني ٢٢٥٠٠٠ قدم مربعة وهذا الهيكل مبني من انابيب الدورالومن وهو معدن متين خفيف الوزن . ويسير بالون ستة محركات رولزرويس قوة كل منها ٦٥٠ حصاناً عدا محركات اخرى صغيرة . وفي وسطه تبنى مخادع للركاب والعمال الذين يدرون شؤونهم في ثلاث طبقات وهذه المخادع تسع مائة راكب وامتعتهم واربعين عاملاً وكل ما يلزم لهم من وسائل الراحة والرفاهة . وغرفة الطعام تسع ٥٠ مسافراً في آن واحد

ويبنى في فريدرينجهافن على بحيرة كونستانس بالمانيا بلون طوله ٧٦٣ قدماً وقطره الاطول ٩٧ قدماً وسرعته تتباين من ٦٢ ميلاً في الساعة الى ٨٠ ميلاً ويستطيع ان يطير نحو ٦٢٥٠ ميلاً في رحلة واحدة وفيه متسع لعشرين مسافراً ٢٦ عاملاً ولمقدار كبير من البريد والبضائع ومحركانه خمسة قوة كل منها ٥٣٠ حصاناً والقصد من هذا البلون السفر من المانيا

الى اميركا في الصيف القادم وينتظر ان يتم في يونيو المقبل

المطاط (الكاولتشوك) من الارض

جاء في بيان نشرته مصلحة المساحة البيولوجية في الحكومة الاميركية انهم عثروا في قاع بحيرة الملح الكبيرة باوتاه على مصدر من اغنى مصادر المطاط في العالم . ذلك انهم حفروا اباراً يتراوح عمق البئر منها بين ١٢٠ قدماً و ١٤٠ قدماً وقطرها نحو ست اقدام فوجدت ارض مساحتها نحو الالف فدان فيها رسوب قيري اسود اللون لزج القوام يحتوي على ٩٩ وتسعة اعشار في المائة من زيت الكبريت المركز الذي تكوّن منه المحلال اجسام الحيوانات في كهوف من الصلصال

وهذا القير يتقى من شوائبه ويمزج بنفايا المطاط فتصنع منه كل الادوات التي تصنع عادة من المطاط المقسى ومع انه لا يوازي المطاط الجديد في صنع اطارات السيارات فهو يفوق كل مادة صنعت حتى الآن لتحل محل المطاط الطبيعي

ويوجد مثل هذه الرواسب القيرية في جنوب اميركا ولكن قيرها تشوبه شوائب كثيرة فنقاوته تتراوح بين ٣٩ في المائة و ٤٤ في المائة . واما قير اوتاه فيكاد يكون نقياً كل النقاوة

الجزء الخامس من المجلد الثاني والسبعين

صفحة	
٤٨١	كلمات للدكتور صروف — حياة اللغات ومميزاتها
٤٨٢	الصحافة العلمية والنهضة الشرقية
٤٨٨	عجبية المستنبطات الحديثة
٤٩٣	كيف عبرنا الاوقيانوس الاثنتيني (مصورة)
٤٩٧	رشدي باشا . للشيخ عبد العزيز البشري
٥٠٤	الاستاذ جبر ضومط (مصورة)
٥٠٩	البادية العربية . لامين الريحاني افندي (مصورة)
٥١٤	نشيد الخلود . للشيخ فؤاد الخطيب
٥١٧	النفط . للزعيم امين معلوف (مصورة)
٥٢٢	هيدا . لادوار فارس افندي
٥٣١	العبقرية والفنون الجميلة . للاستاذ محمد لطفي جمعه الحامي (مصورة)
٥٣٧	خمسة في سيارة . للاستاذ سامي الجريديني الحامي (مصورة)
٥٤١	شرقية في انكلترا . للائسة عنبره سلام
٥٤٩	الكلاب السلوقية (مصورة)
٥٥٥	حفلة تأييد الدكتور صروف (مصورة)
—++++—	
٥٧٧	باب الزراعة والاقتصاد * الترغيب في تربية الدواجن . حشرة البرتقال القشرية وابطالها
٥٨٣	باب المراسلة والمناظرة * حاجتنا الى الصحف العلمية . التعليم الازامي والنساء ايضاً
٥٨٧	باب شؤون المرأة وتدير المنزل * العلاج بالمياه المعدنية . تنظيف البرانيط . لعب الاولاد
٥٩١	مكتبة المقتطف * ابن سمود : شعبه وبلاده (مصورة) التربية الوطنية . مطبوعات
	مكتبة النار . مطبوعات اخرى
٥٩٩	باب المسائل * وفيه ١٢ مسألة
٦٠٣	باب الاخبار العلمية * وفيه ١١ نبذة